عند مدام عفاف

أحمد، تامر.
عند مدام عفاف : أدب ساخر / تامر أحمد.
القاهرة : كيان للنشر والتوزيع، 2020.
160صفحة، 20 سم.
تدمك :978-977-820-071-3
1- أدب ساخر
أ- العنوان : 817
رقم الإيداع :2019/25724
الطبعة الأولي : يناير 2020.
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

كيان للنشر والتوزيع

إشراف عام:
محمد جميل صبري
نيفين التهامي

22 ش الشهيد الحي بجوار مترو ضواحي – الجيزة – الهرم
هاتف أرضي: 0235688678- 0235611772
هاتف محمول: 01000405450-01001872290
بريد إلكتروني: kayanpub@gmail.com
info@kayanpublishing.com
الموقع الرسمي: www.kayanpublishing.com

©جميعُ الحقوقِ محفوظةٌ، وأيُ اقتباسٍ أو إعادةِ طبع أو نشر في أي صورةٍ كانتْ ورقيةً أو الكترونيةً أو بأيةِ وسيلةٍ سمعية أو بصريةٍ دون إذن كتابي من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

تامر أحمد

يقدم

عند مدام عفاف

إهداء

إلى الكاتب العظيم الدكتور/ أحمد خالد توفيق، الذي فقدنا برحيله نصف ذكرياتنا الجميلة ونصف متعة القراءة.. واحتفظ هو بمكان غالٍ في قلوبنا سيظل يحتله أبد الدهر.
لأنه.. جعل الشباب يقرأون.

شكر خاص لأخي وصديق عمري د. تامر إبراهيم لما كان له من دور مساعد كبير فيما يخص هذا الكتاب.. قد تجدونه يظهر متخفيا في أكثر من موضع في الكتاب.. فابحثوا عنه.

أقدم شكري أيضا للدكتور/ محمد أحمد خالد على موافقته على إعادة نشر القصة الأخيرة في الكتاب «أسطورة الفتوّة».

أما شكري الأخير فأقدمه لمدام عفاف وشركاها في مصالحنا الحكومية.. فلولاهم ما وجدت مادة هذا الكتاب.

د. تامر أحمد

مقدمة

عزيزي المواطن.. يجب أن تعرف أن وجودك وهويتك وكينونتك لا قيمة لها إذا كنت لا تحمل بطاقة هويتك، التي سوف تثبت هويتك إذا قبض عليك لأي سبب –وبدون سبب أحيانا– فأنت لدى الحكومة مجرد ورقة.. سطر في دفتر.. رقم مدون على بطاقة بلاستيكية مغلفة.. لذا يجب عليك –وبشكل دوري– مراجعة سلامة موقفك الورقي الذي سيثبت وجودك وشخصيتك وكينونتك.. وإن لم تكن قد استخرجت إحدى هذه الأوراق فعليك بالإسراع في استخراجها في أقرب وقت.

عليك أن تعلم وتوقن بأن استخراج الأوراق الرسمية في بلدنا يؤدي في الغالب إلى استخراج روح المواطن إن لم يكن يمتلك صبر أيوب ومعجزات موسى وتسامح عيسى وثَبَات مُحَمّد، أو يمتلك واسطة بدلا من هذا كله، حيث إن الإجراءات التي يمر بها المواطن المصري في استخراج أية ورقة رسمية تعتبر –فعليا– من إجراءات التعذيب المحرم دوليا والتي لم يكن يجرؤ أبو لهب نفسه على استخدام أحدها.. فإذا اضطرتك الظروف للتعامل مع المرور أو السجل المدني أو الشهر العقاري أو الجمارك فأبشر.. لقد ضمنت مقعدا وثيرا من فئة الشيزلونج في جنة الخالدين.

في المرور تجد الكثيرين من «المشهلاتية» الذين يحترفون تسهيل مهام المواطنين من تجديد واستخراج الرخص والمخالفات مقابل رشوة صريحة «عيني عينك» تحدد قيمتها مسبقا قبل القيام بأي عمل، وتجد المرتشين متناثرين هنا وهناك وكأن هناك معهد عال –أو واطي بالأحرى– لتخريج دفعة مرتشين كل عام.. كما أن التواجد في نفس المجال وزيادة عدد المتنافسين أدى إلى تباريهم في السرعة وقلة السعر وجودة الخدمة.. وكله في مصلحة المستهلك –بفتح اللام– الذي هو المواطن.

المهم أنك تجد لافتة ضخمة في أحد مكاتب المرور مكتوبا عليها بالبنط العريض «الراشي والمرتشي في النار يوم القيامة»، والمثير في الأمر أن المرتشي ينظر لهذه اللافتة ولا يفهم ما بها أو كأن الكلام المكتوب بها لا يخص سيادته.. بل وأكثر من هذا.. تجده يقول للزبون «استناني تحت يافطة الرشوة اللي هناك»، ويكثر دافعو الإكراميات المجبرون لإنهاء أعمالهم بسرعة.. ويبدو أن الواقع يقول إن اللي مش هايدفع رشوة هايفضل في المرور إلى يوم القيامة.

وفي الشهر العقاري الموضوع أكبر.. فالموظفون لا يريدون العمل والمكاتب ضيقة والطرقات أضيق والأخلاق أضيق وأضيق وموظف الخزينة مثل سندريلا يختفي الساعة الثانية عشرة، وكأن الشهر العقاري هو مكان لقضاء عقوبة كونك مواطنا مصريا مع الشغل والنفاذ.

يقال إن المواطن المصري ضد الكسر.. وهذا صحيح لأنه مكسور بالفعل إلى درجة الفتفتة.. فلا يمكن كسره أكثر.

في هـذا الكتـاب عـدة قصـص حقيقيـة سـمعتها مـن أطرافهـا الفعليـين.. وهـي تجسـد العـذاب الأصـلي للشـعب المـصري مـع الروتـين والتحكـم واللامبـالاة.. وإذا كنـت أحـاول اسـتخراج البسـمة مـن المواقـف والحكايـات الصعبـة.. إلا أن هـذا لا ينفـي أنهـا بسـمة جـاءت مـن قلـب المعانـاة.. وإن كان شر البليـة مـا يضحـك فهـذا لا ينفـي أنـه شر البليـة.

ولكن.. لعله يُضحِك.

قابل للكسر*

*قصة حقيقية

«السيد المحترم: طاهر الإبراهيمي.. بعد التحية.. نحيطكم علما أن لكم شحنة محجوزة في جمارك مطار القاهرة.. يرجى التوجه بكافة المستندات الخاصة بهذه الشحنة إلى إدارة الحجز الجمركي لاستلام شحنتكم».

فرغ طاهر من قراءة الخطاب الموجه إليه من الجمارك والذي يفيد بوصول التمثال الذي اشتراه مؤخرا من أمريكا وشحنه على عنوانه في القاهرة.. كان طاهر مولعا بفن النحت وعاش أغلب حياته خارج مصر يتنقل بين مختلف البلدان، وكان يقتني في بيته العديد من التماثيل التي يعتبرها هو تحفا فنية وقد أعد لها ركنا خاصا في غرفة معيشته.. وكان بالفعل كل من يزوره يبدي إعجابه الشديد بمجموعة التماثيل المميزة التي يمتلكها وكان هذا يزيده سعادة.

توجه إلى إدارة الجمرك للمرة الأولى في حياته.. فقد كان قبل ذلك يعتمد على شركة وسيطة في شراء وشحن التماثيل ولكن لسوء الحظ فقد أنهت هذه الشركة أعمالها في مصر وكان طاهر مضطرا للتعامل بنفسه مع الجمارك لاستخلاص شحنته.. بدأ رحلته في أول مكتب قابله.. أطلع الموظف المختص على الخطاب ومستندات الشحنة فقال له:

- آآآه.. أنت بتاع التمثال؟

- لأ حضرتك.. التمثال هو اللي بتاعي.

- أيا كان.. حضرتك موضوعك عند مدام عفاف.

- مين مدام عفاف؟

- يا راجل.. ماتعرفش مدام عفاف؟ دي المديرة حضرتك.

- المديرة شخصيا؟!

- شفت بقى.. مهتمة بيك جدا على فكرة.. ونصيحة (قال غامزا بعينه) فتح دماغك.

لم يفهم طاهر بالضبط ما الذي يعنيه الموظف، واستبعد تماما أن يكون قصده رشوة المديرة.. فهي مديرة وفي موقع حساس وبالتأكيد تخضع للرقابة ولن تغامر بسمعتها.. توجه إلى مكتب المديرة وأطلعها على الأوراق.

- آه، أهلا يا طاهر بك.. اتفضل ارتاح.. تشرب إيه؟

سر طاهر جدا من هذا الاستقبال واستبشر خيرا:

- لا مالوش لزوم.. أنا بس أول مرة آجي ومش عارف الإجراءات إيه.. فمش عايز أتأخر.

- لأ، أنا تحت أمرك.. كلها دقايق والموضوع يخلص.. ثم أضافت بلهجة ذات مغزى

– بس حضرتك تِصَبَّح عليّا وكل شيء يتم على طول

قال طاهر بحرج:

–آه أنا آسف دخلت من غير ما أصبَّح على حضرتك .. Good morning

– جود إيه يا عنيّا

– Good morning يا فندم

– آآه .. جود مورننج .. اللي هي بتاعت الصبح دي .. ماشي .. طيب قل لي .. هو التمثال دا عبارة عن إيه ؟

- دا تمثـال سـوبرمان، بـس عاملـه نحـات مشـهور قـوي في أمريـكا.

- طيـب والنحـات دا مـش عامـل حاجـة لصبايـضر مـان؟ أصل عنـدي ابنـي بيحبـه جدا!

- صبايـضر!! آه طبعـا عامـل.. هـو ناحـت كل الشـخصيات وعامـل لهـا تماثيـل بأحجـام مختلفـة.

قالت بنفس اللهجة ذات المغزى:

- طيب إيه؟

قال طاهر بعدم فهم:

- إيه؟

قالت باستنكار:

- إيه؟

- إيه إيه يا فندم؟ مش فاهم حضرتك.

- هممم.. مش فاااهم وجود مورنينج.. طيب تمام.

تبدلت لهجتها فجأة وقالت:

- طيـب يـا أسـتاذ حضرتـك في بعـض الإجـراءات البسـيطة مطلوبـة قبـل اسـتلام التمثـال.

- إجراءات إيه يا فندم؟

- التمثال دا لازم يتعرض على أمن المطار وإدارة المفرقعات.

- مفرقعات! ليه بس.. دا مجرد تمثال.

- وأنـا ايـش عرفنـي إن مفيـش جـواه أي داهيـة ولا مـواد متفجـرة ولا بمـب.

- بمب؟!

- آه يا أستاذ.. دي مسئولية ماقدرش أتحملها.. وبعدين ماتقلقش دا إجراء روتيني.. شهادة صغيرة من إدارة المفرقعات إن التمثال مفيهوش قنابل ولا يشتعل ولا يساعد على الاشتعال ويستحسن يكون لا يعكر ماء الجير، وبعدها تستلم على طول.

- وفين إدارة المفرقعات دي؟

دلته المديرة على المكان المنشود فذهب إليه طاهر وقابل أحد الضباط وقال له:

- من فضلك كنت عايز حد ييجي يكشف على التمثال بتاعي.

- سلامته ألف سلامة.. العيادة الصحية المبنى اللي ورانا.

- لأ حضرتك هو مش عيان.. هو محجوز في الجمارك وعايزين شهادة إنه خالي من المفرقعات عشان أستلمه.

- أنت لازم جاي من عند مدام عفاف.

- بالضبط.. حضرتك عرفت منين؟

- وأكيد طَلَبِت منك طلب وانت مانفذتهوش.

- الحقيقة لأ.. ماطلبتش، هى طلبت بس إني أصبح عليها.

- أهي طلبت أهي .. وعملت إيه بقى؟

- قلت لهاGood morning

قال الضابط ساخرا

- قلت لها Good morning .. ومستغرب انها بعتتك هنا

- آه والله مستغرب ومش فاهم .. المهم حضرتك هاينفع تديني الشهادة ولا إيه؟

- هانبعت لجنة تفحص التمثال.. عدِّي علينا كمان أسبوع.

بعد أسبوع ذهب طاهر لمكتب المديرة حاملا شهادة خلو التمثال من أي مفرقعات أو مواد تصلح للفرقعة.. دخل المكتب ظانا أن موضوعه سينتهي لكنه كان واهما.. قالت عفاف بعد أن قرأت الشهادة:

- مبروك.. طلع مفيهوش مفرقعات.

- ما أنا قلت لحضرتك.. دا مجرد تمثال.

- تمام.. مجرد تمثال.. طيب هو أنا بس كنت باراجع قانون التماثيل واكتشفت إن حضرتك مطلوب منك شهادة تانية صغيرة.

- قانون التماثيل!! وشهادة؟ شهادة إيه تاني؟!

- وإحنا بنفحص التمثال لقينا في كاميرا في عينه.

- كاميرا إيه؟! دي لمبات.

- والله اللي يقول هي كاميرا ولا لمبة هو الأمن الوطني مش أنا .

- الأمن الوطني مرة واحدة؟!

- أيوة يا أستاذ دي مسئولية وأنا ماقدرش أتحملها.

قال طاهر بقلة حيلة:

- طيب فين الأمن الوطني دا؟

بناء على توجيهات عفاف ذهب طاهر إلى مكتب الأمن الوطني في المطار وقابل أحد الضباط ليطلب منه فحص التمثال فقال الضابط بمنطقية:

- بص يا أستاذ.. أنا أفحص مواطن أشوف عليه أحكام ولا لأ.. أفحص واحد أشوفه له نشاط متطرف ولا لأ.. إنما أفحص تمثال أشوف اللي فيه دي كاميرا ولا لمبة.. هو أنا كهربائي.. دا أنا نقيب وعلى وش مقدم.

- والله يا باشا لو عليا أنا أرقيك لواء دلوقتي.. بس دا مش طلبي أنا.

- هو أنت جاي من عند مدام عفاف؟

- دا واضح إنها معروفة قوي.

- دا إنت حظك مهبب.

- طب أعمل إيه؟ مش هاتديني حاجتي غير بالشهادة بتاعت الأمن الوطني.

- إنت طيب قوي.. وحياتك ولا هاتديهالك بعد الشهادة.. بص أنا بصراحة مش فاضي للكلام الفارغ دا وعندنا شغل أهم بكتير من تمثال سوبرمان بتاعك.. بس عشان إنت شكلك محترم ومش وش بهدلة أوعدك إننا في خلال أسبوع بالكتير هانكون فحصناه وجهزنالك الشهادة.

- والله يا فندم يبقى كتر خيرك.

بعد أسبوع آخر تسلم طاهر شهادة خلو التمثال من الكاميرات الفوتوغرافية والرقمية وأن ما يوجد بعين التمثال

ليس كاميرا من أي نوع معروف.. دخل ملوحا بالشهادة لمكتب عفاف التي تفحصت الشهادة بشكّ:

- غريبة مع إن شكلها كاميرا.

- يا ستي إنتي مش قلتي إنك مش انتي إللي بتحددي.. أهو الأمن الوطني بنفسه قال انها مش كاميرا.

خبطت بقبضتها على المكتب صائحة:

- أمال تطلع إيه اللي في عينه دي؟

- لمبة.. والله العظيم لمبة.

- طيب وهي اللمبة دي مش المفروض تنور.

- آه.. مهو جاي معاه بطاريات عشان تتوصل باللمبة وتنورها.

قالت بتفهم:

- آآآآه.. معاه بطاريات.. طيب يا راجل مش تقول كده!

كتبَت ورقة ومهرتها بتوقيعها ثم قدمتها لطاهر قائلة:

- حضرتك تجيب لنا شهادة من الجيش إن دي مش بطاريات صواريخ.

- جيش؟! بطاريات صواريخ.. إنتي أكيد بتهرجي!

- هاهرج معاك ليه.. أعرفك أنا؟ هاتصاحبني؟

- يا مدام أنا مش قصدي بطاريات.. قصدي حجارة.. حجارة عادية.

- بس أنت قلت بطاريات.

- أنا.. أبدا.. أنا قلت حجارة.

- غريبة مع إني متأكدة إني سمعتها بطاريات.

- والله العظيم حجارة.

قالت مهدئة إياه بلهجة خبيثة:

- طيب يا أخي حجارة حجارة.. مش بطاريات.. ولا تزعل نفسك.

سحبت منه الورقة الأولى وقدمت له ورقة أخرى:

- الموضوع كده بقى أسهل.. هاتجيب لنا بس شهادة صغيرة.

قاطعها بفراغ صبر:

- منين تاني؟

- من سفارة فلسطين.

قال باستغراب:

- وسفارة فلسطين مالها ومال التمثال بتاعي؟

- عايزين شهادة منهم إن الحجارة دي غير الحجارة المستخدمة في الانتفاضة.

- حجارة؟! انتفاضة؟! أنا سمعت صح؟!

- مهو مش معقول ناخد إحنا الحجارة كلها ونسيب فلسطين.. هايعملوا انتفاضة بإيه.. خلي عندك وطنية يا أخي.. ولا عشان يعني صوبرمان دا أمريكاني؟

- يا مدام عفاف انتفاضة الحجارة خلصت من زمان.

- ولو.. الانتفاضة هاتفضل مستمرة برغم العدوان.

- يا ستي دول حجرين قلم عشان اللمبة.. لا ليهم دعوة

بانتفاضة ولا حرب ولا نيلة.. اعملي معروف شوفي لي أي حل تاني.

- ممم.. حجرين.. طيب بص.. إنت صعبت عليا.. وعشان كده أنا هاسهلها عليك على الآخر.. ودا آخر تساهل معاك.

كتبت ورقة أخرى ومدتها إليه:

- هاتجيب لنا شهادة من شركة الشرقية للدخان إن دول مش حجرين معسل.. في تساهل أكتر من كده؟

خرج طاهر من مكتب عفاف وقد تذكر المشهد الشهير في فيلم «عسل أسود» مع موظف السجل المدني المرتشي.. وشعر بنفس السواد الذي شعر به بطل الفيلم.. في الشركة الشرقية للدخان كان الكل –بالطبع– يتعجب من ذلك الطلب الغريب والذي يواجهونه لأول مرة، وبعد أن سألوه السؤال المعتاد «أنت جاي من عند مدام عفاف؟» أخذوا الموضوع كنكتة ومروا به على كل المكاتب كفقرة ترفيهية مسلية لموظفي الشركة الذين رقّوا لحاله في نهاية الأمر وأعطوه الشهادة المطلوبة.

في ساحة قرية البضائع وبعد أن اطّلعت عفاف على خطاب الشركة، استدعت أحد العمال وقاموا بفتح صندوق التمثال وقالت:

- تمام.. كده بقى نحط الحجارة ونشغل اللمبة ونتأكد.

قرَنَت القول بالفعل وضغطت زر الإضاءة فأضاءت اللمبات في عين التمثال باللون الأحمر وبدا كتحفة فنية

فعـلا.. قـال طاهـر في فـرح:

- شـفتي بقـى يـا مـدام.. أهـي لمبـة أهـي زي مـا قلـت لـك واشـتغلت بالحجـارة.. مكنتـش باضحـك عليكـي.

مالـت عليـه عفـاف وقالـت بنفـس اللهجـة إياهـا ذات المغـزى وبصـوت خفيض:

- هو تمثال صبايضر مان عينيه بتنور كده برضه؟!

- أكيد طبعا يا مدام.

- طيب إيه بقى؟

- إيه يا فندم.

- عايزين نجيب صبايضر مان للواد ابني!

- طيـب ماتجيبـوا.. تجبـي أديلـك الموقـع الـلي بيتبـاع عليـه التمثـال.

- الموقع؟!

- أمال إيه بس مش فاهم والله!

غيرت لهجتها وعلا صوتها مرة أخرى قائلة:

- لسـه مـش فاهـم.. طيـب تمـام.. بـص هـو بـس في مشـكلة صغـيرة إن العـين بتنـور أحمـر.

قال طاهر مازحا:

- وإيـه المشـكلة في كـده.. ولا إنتـي زمالكاويـة وبتكرهـي الأحمـر؟

- أولا آه أنـا زمالكاويـة.. ثانيـا اللـون الأحمـر دا ممكـن يطلـع ليـزر.

- ليزر؟! لا طبعا باين إنه نور عادي مش ليزر.

- مش أنا اللي أحدد.

- بس فهمت.. عايزة شهادة من مين المرة دي.. مازنجر؟

- لا يا مرح.. معهد الليزر.

- هو بقى في معهد لليزر كمان.. ما شاء الله.

- طبعا يا أستاذ عندنا معاهد لكل حاجة.. يلا خِف نفسك بقى عشان تلحق تجيب الشهادة وترجع تاني نكون فكرنا لك في شهادة تانية تجيبها.

- من عنيا.. دا أنا حبيت موضوع الشهادات دا جدا.

ذهب طاهر بسيارته إلى معهد الليزر وقال لهم كلمة السر «أنا جاي من عند مدام عفاف» فتعاون معه الجميع وأنهوا له الشهادة على الفور فعاد لعفاف في نفس اليوم.

- إيه دا.. أنت لحقت تروح وتيجي؟

- سرعة الليزر بقى.. اتفضلي الشهادة أهي.. في أي شهادات تاني، وممكن أستلم التمثال بتاعي بقى؟

- بص أنا هاكون صريحة معاك.. أنا أصلا شاكة إن دا يكون تمثال.

- أمال هايكون إيه.. بدلة غطس.

قالت بمنطقية وهي تتفحص التمثال:

- لأ.. روبوت.. إنسان آلي.

- روبوت إيه بس يا مدام.. مهو تمثال قدامك أهو حجر مابيتحركش.

- الكلام دا تضحك بيه على حد تاني.. أنا ياما عدى عليا من الأشكال دي.. وفي الآخر كله بيعترف.

- أعترف بإيه؟

- إنه روبوت.

- والله تمثال.

صاحت فيه قائلة:

- مش مصدقاك.. دا روبوت.. شكله باين جدا.. اتفضل خليه يتحرك دلوقتي حالا.

قال طاهر بثورة:

- لأ ما هو أنا مش ربنا.. ما أقدرش أنفخ فيه الروح.. دا تمثال.. تمثاااااااال.

- طيب خلاص ماتزعقش.. أنا مش هاقدر أحدد إذا كان تمثال ولا روبوت.. دي مسئولية كبيرة وأنا ماقدرش أتحملها.. هاتجيب لنا شهادة صغيرة من أكاديمية البحث العلمي إنه مش روبوت وتبقى حليت الموضوع.

- دا أنت المفروض يسموكي مديرة العجز الجمركي مش الحجز الجمركي.

- بتقول حاجة؟

في صباح اليوم التالي ذهب طاهر إلى أكاديمية البحث العلمي متغلبا على دهشته من وجود هيئة بهذا الاسم في مصر أصلا حيث يقبع البحث العلمي في قاع برميل اهتمامات الدولة، ويحظى بميزانية أقل من مصاريف طفل في مدرسة انترناشيونال.. تجاوز الباب ليجد عشرات الموظفين

الذيـن هـم بـدون وظيفـة حقيقيـة رحبـوا بـه بشـدة وأجلسـوه ومـا أن علمـوا بقصتـه قالـوا لـه:

- إزاي يعنـي مـش عارفـين يفرقـوا بـين التمثـال والروبـوت.. هـي مـدام عفـاف مـش هاتبطـل تحكماتهـا دي بقـى!

- هو أنتم كمان هنا عارفينها؟

- أمـال إيـه.. خـد الشـهادة أهـي وربنـا يكـون في عونـك وينتعـك إنـت والتمثـال بتاعـك بالسـلامة.

عـاد طاهـر مـرة أخـرى إلى إدارة الجمارك ودخـل إلى مكتـب عفـاف شـاعرا أنـه داخـل عـلى عشـماوي.

- اتفضـلي يـا مـدام عفـاف.. شـهادة إنـه مـش روبـوت ولا بيمـشي ولا بيتحـرك.

سألته بتحدي:

- ولا بيطير؟

- ولا بيطير.

- إزاي بقى.. هو مش صوبرمان.. يبقى بيطير.

- دا اللي في الأفلام.. إنما دا تمثال.. مش بيطير.

- مش إنت اللي تحدد إذا كان بيطير ولا لأ...

قاطعها مكملا الديباجة التي صار يحفظها جيدا:

- طبعـا.. ودي مسـئولية وإنتـي ماتقدريـش تتحمليهـا.. وعايـزة شـهادة صغـيرة مـن مـصر للطـيران إن التمثـال مـش بيطـير!

- أو وزارة الطـيران المـدني.. أيهـما أصعـب آآآ.. قصـدي الـلي يريحـك فيهـم.

- مش عايزة شهادات من الأمم المتحدة أو ستاد القاهرة.. أنا باعدي عليهم كل يوم؟

- لأ، مش للدرجة دي يعني إحنا مش عايزين نعقد الدنيا.

استغرقت شهادة وزارة الطيران أسبوعين استغلها طاهر في إنجاز بعض الأمور الأخرى حتى تم تحرير الشهادة فأخذها واتجه إلى مكتب عفاف –والذي أصبح بمثابة مقبرة أحلامه– حاملا ملفا ضخما من الأوراق فبادرته سائلة:

- إيه الورق دا كله؟

- لأ، دي فضلة خيرك شوية شهادات كده على ما قُسُم.. شهادة من مصر للطيران إن التمثال دا تمثال ثابت لا يطير ولم يسبق له الطيران، وجواب من وزارة الطيران المدني إن في حالة إن التمثال بيطير هم معندهمش مانع وبيرحبوا بطيران سوبرمان الشقيق.. وجواب من نادي الطيران يفيد إن التمثال ليس عضوا في النادي، وجواب من شارع الطيران بإن التمثال عمره ما عدى في الشارع بأي طريقة جوا أو برا أو بحرا.. ووزارة السياحة بتقول إنهم موافقين على طيران التمثال ترويجا للسياحة ودي شهادة تطعيمات التمثال ضد جميع الأمراض المعدية اللي ممكن ينقلها في حالة طيرانه رغم إنه مش بيطير، ورغم إن التماثيل مش بتتطّعم بس أنا طعّمته.. وخطاب من هيئة الـ...

- بس بس إيه دا كله.. هو أنا طلبت منك كل دا؟ ليه يا حبيبي تعقدها على نفسك كده؟!

- معلش بقى أصلي معقد.. ممكن آخد أم التمثال بتاعي؟

- هـو إنـت مهتـم بالتمثـال دا قـوي كـده ليـه؟ اهتمامـك دا مريـب عـلى فكـرة.

- ليـه إيـه؟! بتاعـي وبفلـوسي وملكـي.. حقـي إني أهتـم بيـه وابقـى عايـز أسـتلمه.

- لالالا.. أنـا كـده ابتديـت أشـك.. ليـه واحـد زيـك يـصرف الفلـوس دي كلهـا عشـان يشـتري تمثـال.. دا أنـا شـفت سـعره في الفاتـورة اتخضيـت.

- يـا سـتي تشـكي في إيـه.. أنـا راجـل بيحـب النحـت وباشـتري تماثيـل كتـير.. بـصي حضرتك.

أخرج لها تليفونه المحمول ليريها صورة على الجهاز.

- دي صـورة الليفنـج بتاعـي.. كلـه تماثيـل زي مـا حضرتـك شـايفة.. اتطمنتـي؟

- اتطمنـت إيـه.. دا أنـا شـكي زاد.. بتعمـل إيـه بالتماثيـل دي كلهـا.. الموضـوع دا مـش طبيعـي.. باقولـك إيـه.. انـت تجيـب لنـا شـهادة مـن الأزهـر إن التمثـال دا مـش أصنـام.

- أصنـام؟! هـو في حـد بيعبـد سـوبرمان.. أنـا اسـمي الإبراهيمـي مـش أبرهـة.

- عـلى الأزهـر يـا أسـتاذ ماتعطلنيـش.. وابقـى سـلم لي عـلى صبايضرمـان.

غـادر طاهـر مكتبهـا والقهـر يملـؤه.. فهـو عاجـز عـن تسـلم شيء يملكـه لمجـرد تعنـت تلـك الموظفـة التـي ليـس عليهـا رقيـب يمنعهـا مـن هـذا الاسـتبداد.. في طريقـه لسـيارته تذكـر أن خالـه لـه صديـق يعمـل في جهـة أمنيـة ذات سـيادة ومهابـة.. فاتصـل بـه

وحكى له عمّا حدث.. ثار خاله بشدة وعنَّفه أنه لم يتصل به من البداية وأمره أن يعود إلى مكتب عفاف مرة أخرى وينتظر منه مكالمة.. عاد طاهر إلى مكتب عفاف ووقف أمام الباب فسألته بتهكم:

- مستني إيه؟

- مستني الـ...

قاطعتهما رنة الهاتف المحمول الخاص بطاهر نظر ليجد علامة Private Number تزين الشاشة.. فدفع التليفون إلى عفاف قائلا:

- التليفون دا علشانك.

تناولت منه عفاف التليفون وأجابت بتردد:

- آلو.. أيوة مين اللي بيتكلم؟

امتقع وجهها واستحال إلى اللون الأبيض من فرط شحوبه:

- أيوة يا فندم.. ليه بس يا فندم.. دا أنا خدامتك وخدامة التمثال.. يخرج حالا يا باشا.. اعتبره خرج.. وماله يا فندم ما يطير هو صغير.. أنا آسفة.. ليه بس كده.. طيب والدتي مالها بالموضوع.. الله يسامحك.. حاضر.. حاضر.. خدامة سيادتك وقرايب سيادتك وتماثيل قرايب سيادتك.. مع السلامة يا فندم.

أعادت التليفون إلى طاهر وجرت خارج مكتبها إلى ساحة الحجز الجمركي حيث أمرت العمال بإخراج التمثال وتحميله في كرتونته مرة أخرى وإعداده لمغادرة الجمرك فورا، وأخذت

توقـع عـلى كل الأوراق عـلى عجـل وأرسـلت أحـد موظفيهـا ببطاقـة الائتـمان الخاصـة بهـا لدفـع المصاريـف الجمركيـة:

- طيب وشهادة الأزهر إنه مش صنم؟

- صنم إيه بس يا باشا هو إحنا في الجاهلية؟

- طيـب مـش عايـزة شـهادة مـن الـصرف الصحـي إن الـصرف عـلى شراء التماثيـل لا يـضر بالصحـة.

- حضرتـك بتهـزر يـا باشـا.. إنـت لسـه زعـلان منـي يـا باشـا.. دا إنـت زي ابنـي يـا باشـا.

- ابنك.. اللي بيحب سبايدرمان؟

- الله يحـرق صبايضرمـان عـلى اليـوم الأسـود الـلي عرفنـاه فيـه.. أنـا آسـفة.. سـامحني.. امسـحها في دقنـي.

- هي إيه؟

- جزمـة سـعادة الباشـا قريبـك يـا سـعادة الباشـا.. أرجـوك تقـول لـه مـا يئذينيـش.

- خلصيني فين التمثال؟

- حـالا.. حـالا يـا باشـا (وصاحـت بصـوت عـال): يـلا التمثـال يجهـز ويتسـلم لسـعادة الباشـا بسرعـة.

ارتبـك العـمال مـن اسـتعجال المديـرة فأسـقطوا التمثـال أرضـا وكـسرت قطعـة مـن ذراعـه.. بـدا الخـوف والذعـر الشـديد عـلى عفـاف وهـي تعتـذر لطاهـر:

- أنـا آسـفة.. وحياتـك مـا كنـا نقصـد.. أنـا ممكـن أعالجـه لسـيادتك عنـد الدكتـور بتاعـي.. أسـفره بـره.. أجيـب لـه ممرضـة مـن «السـعودي الألمـاني» تفضـل جنبـه لحـد الكـسر مـا يلتئـم..

أرجـوك مـا تئذينيـش دا أنـا غلبانـة.

قال طاهر بتشفٍّ مستخدما نفس أسلوبها:

- دا كـسر.. يعنـي عـلاج أكـتر مـن ٢١ يـوم.. يعنـي جنحـة وأوديكـم في داهيـة.

- أنا آسفة.. مكنّاش نعرف إنه قابل للكسر.

- مع إنها باينة ومكتوبة على الكرتونة.

- مخدناش بالنا والله.

- خرجولي التمثال دا للعربية دلوقتي.. عايز أمشي من هنا.

تعـاون العـمال عـلى حمـل التمثـال في كرتونتـه الكبـيرة وأودعوه في سـيارة طاهـر الـذي قـاد سـيارته مبتعـدا عـن ذلـك الجحيـم، بعـد أن اكتشـف أن ليسـت التماثيـل فقـط هـي القابلـة للكـسر في هـذا البلـد.

كعب داير*

- شكر خاص للدكتور/ أحمد عبد الفتاح الذي كان له دور البطولة الرئيسي في هذه القصة.

*قصة حقيقية أيضًا.

أخيرا وبعد طول بحث وانتظار استطاع الأستاذ «بلال» أن يجد وظيفة ملائمة له.. ذهب ليقدم أوراقه للالتحاق بالعمل فطلب منه موظف الموارد البشرية استخراج قيد عائلي من السجل المدني كأحد مسوغات التعيين.. لم يكذب «بلال» خبرا واتجه إلى السجل المدني فقط ليفاجأ أن هذه الورقة يتم استخراجها –بدون واسطة– في عشرة أيام كاملة وبالواسطة عشر دقائق كاملة أيضا، ولما كان «بلال» لا يملك من الواسطة شيئا فقد اتبع الطريق التقليدي وقام بالتقديم على القيد ثم انصرف من السجل المدني مسلما أمره لله، وما أن مرت الأيام العشرة حتى ذهب إلى السجل المدني لاستلام القيد العائلي ليفاجأ بامتناع الموظف عن تسليمه إياه:

- ليه حضرتك.. إيه المشكلة؟

- المشكلة إنك ماقدمتش شهادة ميلاد أخوك وبالتالي بيانات القيد ناقصة.

- أخويا! أخويا مين يا جدع أنت.. أنا ماليش إخوات.

- لأ، لك أخ اسمه «جلال».

- «جلال» مين يا عم بلاش هزار.. أنا ماليش إخوات.

- الكمبيوتر هنا مطلع لك أخ اسمه «جلال» بنفس بيانات الأب والأم.

- طيب يعني أجيبلك أبويا وأمي يحلفوا لك إنهم مخلفوش غيري.

- يعني تفتكر هاصدق الحلفان ولا الكمبيوتر؟

- طب والحل إيه؟

- تطلع على الأحوال المدنية في العباسية وهم يحلّوا لك الموضوع دا.. إنما عندي.. فيه «جلال».

انصرف «بلال» وهو لا يدري كيف يحل هذه المشكلة التي لم تكن تخطر له على بال، في الليل ذهب إلى المقهى كي يلتقي أصدقاءه كعادته ولكنه بدا شاردا على غير عادته فسأله «عادل»:

- مالك يا «بلال»؟

- لا ماتشغلش بالك.. موضوع كده شاغلني.

- لا بجد.. مالك مسهم كده وسرحان؟

- مفيش يا عم.. رحت النهاردة أستلم القيد العائلي بتاعي عشان أقدم في الشغل الجديد.

- طب وبعدين؟

- طلع لي أخ جديد.

- ألف مبروك يا معلم وهاتسميه إيه؟

- باقولك أخ مش ابن.. وبعدين هما مسمينه جاهز.

- اسمه إيه بقى؟

- «جلال».

- «جلال»! ماتسميه اسم جديد روش كده.. أدهم.. أكرم.. ما لِك.

- يا عم بقولك هو متسمي جاهز.

- ودا اتولد امتى دا.

- دا حضرتك مولود من ٣٥ سنة.

- طب ومعزمتناش على السبوع ليه يا ندل؟

- تصدق لو مبطلتش هزار يا «عادل» هاولع فيك.

- طب بجد إزاي اتولد من ٣٥ سنة.. دا كده يبقى قدك بالضبط.. توأمك يعني.

- بالضبط.. متسجل كأنه أخ توأم ليا.. الجاهل اللي سجل الاسم في الدفتر كان خطه زي الزفت كتب «بلال» كأنها «جلال».. والحمار اللي بينقل من الدفتر للكمبيوتر احتار يكتبها «بلال» ولا «جلال» راح كاتب الاتنين.. ونزلت كده على الكمبيوتر.

- كده بقى يا معلم أنت في حرامية في تايلاند بتاع كريم عبدالعزيز اللي اكتشف فجأة إن ماجد الكدواني يبقى أخوه.

- مش باقول لك بتهزر.

- يعني هو اللي إنت بتقوله دا حد يصدقه؟

- والله هو دا اللي حصل.

- طب وهتعمل إيه؟

- هاروح بكرة السجل المدني في العباسية أشوف حل للموضوع دا.

في اليوم التالي اتجه «بلال» إلى مصلحة الأحوال المدنية بالعباسية واتجه إلى مكتب التصحيح ليجد طابورا طويلا من المواطنين الذين لديهم أخطاء في الأوراق الرسمية.. وقف في الطابور منتظرا دوره حتى وصل إلى الشباك.

- صباح الخير.

- هاييجي منين الخير.. نعم!

- مـن فضلـك أنـا عنـدي غلـط في القيـد العائـلي.. فيـه أخ متسـجل وأنـا ماليـش إخـوات.

- دا مش عندي.. اطلع الشئون القانونية فوق في التالت.

صعـد «بـلال» الـدرج لأن المصعـد معطـل بالنسـبة للمواطنـين ويعمـل فقـط لكبـار الضبـاط العاملـين.. وصـل إلى مكتـب الشـئون القانونيـة واتجـه لإحـدى الموظفـات المنهمكـة بشـدة في وضـع الدُقـة والتقليـة عـلى كيـس الكـشري الـذي سـتفطر بـه.

- صباح الخير.

قالت دون أن تنظر له:

- عند مدام عفاف.

- هو إيه دا اللي عند مدام عفاف؟

- اللي إنت عايزه.

- هو إنتي عارفة أنا عايز إيه؟!

- عند مدام عفاف.

- اسمعي الأول أنا عايز إيه وبعدين قولي.

- مـا أنـا هاسـمعك وهعـرف وهايطلـع الـلي أنـت عايـزه عنـد مـدام عفـاف.. أنـا باوفـر وقتـك ووقتـي.

- معلش هاعطل حضرتك عن الكشري ثواني بس.

- قول يا سيدي.. وآدي الكشري.

- أنا كنت عايز أطلع قيد عائلي.

- القيد العائلي عند مدام عفاف.

- رحت القسم قدمت عليه وقال لي القيد هايتأخر ١٠ أيام.

- الطلبات المستعجلة عند مدام عفاف.

- وأنا باستلم القيد لقيت عندي أخ متضاف غلط في القيد العائلي وعايز أصلح الغلطة دي.

- التصحيح عند مدام عفاف.. زي ما قلت لك في الأول.

- طب هي فين مدام عفاف.

- ماجتش النهاردة.. اتفضل بقي متعطلناش.

- أنا عايز المدير.. هو فين؟

- عند مدام عفاف.

- أفندم!!

- مكتبه في آخر الممر قدام مكتب مدام عفاف.. اسمه الأستاذ متولي.

اتجه «بلال» إلى مكتب المدير وهو في قمة الثورة والغضب طرق الباب مرة واثنتين وثلاثا دون أن يسمع السماح بالدخول ففتح الباب ودلف إلى المكتب ليجد موظفا ضخم الكرش والأنف والصوت يأكل شطيرة ضخمة من الفول ويقرأ الجريدة لم يرفع عينه عند دخول «بلال» إلى المكتب ولم يوله اهتماما أكبر مما كان سيوليه لو أن ناموسة دخلت إلى المكتب فبادره «بلال»:

- صباح الخير.

- .....

- صباح الخير يا فندم.

- .....

رفع «بلال» صوته قليلا:

- صباح الخير يا فندم.

- نعم؟

- أنا عندي مشكلة ومحدش عارف يحلها.

- الموظفين بره.

- ما هم الموظفين معندهمش حل عشان كده جيت لحضرتك.

- وأنا مالي ومال مشاكلك.

دهش «بلال» حيث كان يظن أن من ضمن مهام المدير حل المشكلات التي يعجز الموظفون عن حلها.

- مش حضرتك المدير هنا.

- أديك قلتها.. المدير.. ودا شغل موظفين.. مالي أنا ومالك بقى ؟

- معلش يا فندم استحملني شوية هاعطلك ٣ دقايق بس.

- ها.. خير.. في إيه؟! بس انجز ومن غير كتر كلام.. ويستحسن من غير كلام خالص.

- من غير كلام إزاي يعني.. أشاور يعني زي اللي بيلعبوا أفلام؟

- أنت هاتهزر يا مواطن.. من غير كلام يعني لو عندك ورق قدمه ومتتكلمش كتير وأنا هاعرف المشكلة.

قدم له «بلال» الأوراق الرسمية التي تمثل مشكلته.. قلب

فيها بأصابع ملوثة بالفول والزيت والصلصة، وقضم قضمة أخرى من الشطيرة قبل أن يسأل بفم مليء بالطعام:

- مالك بقي إيه مشكلتك؟

- أتكلم؟

- أمال يعني أنا هاقرا أفكارك.. ماتنطق يا أستاذ ماتنرفزناش على الصبح.

- حضرتك القيد العائلي دا في أخ ليا اسمه «جلال».

- آه.

- أنا بقي ماليش اخوات أصلا.

- بس الورق بيقول إن لك أخ؟

- ما هي دي المشكلة.. وأنا عشان كده جاي لكم.

ضغط متولي على جرس على مكتبه فدخل الساعي مهرولا، أشار متولي بغطرسة إلى جهاز الكمبيوتر الموضوع على مكتبه:

- يا جابر.. تعالي دوس على الزرار دا وافتح الكمبيوتر.

فهم «بلال» حينها أنه ليس من ضمن مهام المدير الضغط على الأزرار.. ضغط جابر على زر فتح الكمبيوتر وخرج من المكتب بينما أخذ متولي يلعب على أزرار الحاسب وقال:

- أهو يا أستاذ.. أخوك «جلال» بنفس اسم الأب واسم الأم وتاريخ الميلاد.. يبقى توأمك.

- ما هو أنا باقول لحضرتك إن ماليش إخوات أصلا.

- يا أستاذ افتكر كويس.. كلنا بننسى.

- فيه حد ينسى أخوه!

- دا في حد بينسى اسمه يا أستاذ.. وبعدين أهو متسجل على الكمبيوتر.

- أيوة ما هي دي المشكلة.. إنه متسجل على الكمبيوتر.

- الكمبيوتر بقى مستحيل يكون فيه غلط.. لأنه مش بني آدم هايقرا غلط أو ينقل غلط.

- وهو مين اللي حط البيانات على الكمبيوتر؟

- موظف السجل المدني.

- والموظف دا مش بني آدم؟

- أمال روبوت كونترول.. بني آدم طبعا.

- يبقى ممكن يغلط.. وهو دا اللي حصل معايا.

- البيانات دلوقتي على الكمبيوتر.. تبقى صح ومافيهاش غلط.

- أمال أنتم ليه عاملين مكتب للتصحيح.

- عشان لو حد عنده غلط في بياناته نصلحها له.

- يعني ممكن يكون في غلط أهو.

- باقول لك إيه إنت وجعت دماغي.. أنت عارف مين اللي هايحل لك مشكلتك؟

- مين؟

- مدام عفاف.

- !!

قرن متولي قوله بضغطة على الجرس ليدخل جابر مسرعا:

- وصل الأستاذ عند مدام عفاف.

- مدام عفاف مجتش النهاردة.

- خلاص تعالي لها بكرة.. بس من بدري.

في صباح اليوم التالي توجه «بلال» إلى السجل المدني واتجه مباشرة إلى الدور الثالث وجال بنظره ليجد موظفة في حجم ووزن الثلاجة الكريازي تقضم بيضة مسلوقة وترشف الشاي توقع أنها عفاف التي يحكي عنها الجميع فتوجه إليها قائلا التحية المحرمة التي لا يرد عليها أحد في هذا المكان:

- صباح الخير.. مدام عفاف؟

- أيوة أنا.. خير؟

- أنا من إمبارح باسأل على حضرتك.

- أديني جيت.. استنى بس أخلص الفطار وافضى لك.

بعد نحو نصف الساعة من الإفطار والرغي والشرب نادته عفاف:

- ها خير.. إيه المشكلة؟

- والله المشكلة عويصة جدا وكل الناس قالوا لي محدش هايحلها إلا مدام عفاف.

انتفخت عفاف فخرا وغرورا مما أضاف لانتفاخها الطبيعي بفعل الشحم والدهون:

- قول يا سيدي.

حكى لها «بلال» قصته وأطلعها على الأوراق التي تثبت موقفه فقرأتها وبدا عليها عدم الاقتناع واستغرقت في تفكير

عميـق ثـم قالـت:

- لمـا تحـب تحـرم أخـوك مـن حقـه متعملـش كـده أبـدا.. حـرام عليـك.. الـدم عمـره مـا يبقـى ميّـة.

- يا ستي أخ مين أنا ماليش إخوات.

- الـورق والدفـتر والكمبيوتـر بيقـول إن لـك أخ.. أسـيب أنـا كل دول وأصدقـك إنـت.

- طيـب مـا هـو عـلى الكمبيوتـر مكتـوب إنـه مطلعـش بطاقـة رقـم قومـي لحـد دلوقتـي.. يبقـى عايـش في البلـد إزاي ٣٥ سـنة؟

- عادي.. ولد صايع وبايظ ماشي من غير بطاقة.

- ومالوش أي سجل في أي مدرسة أو معهد أو كلية!

- بتحصل.. الواد ماتعلمش.. متسرسب من التعليم.

- ومالوش أي سجلات في الجيش!

- خاين وعميل وهربان من التجنيد.

- طيـب مـاشي.. عنـدي دليـل تـاني.. شـوفي حضرتـك كـده أنـا متسـجل في الدفـتر بتاريـخ كام؟

- ٢٠ أكتوبر.

- والزفت جلال دا متسجل بتاريخ كام؟

- ٢٧ أكتوبر.

- إزاي بقـاااااا.. فيـه في الدنيـا اتنـين تـوأم فـرق بينهـم أسـبوع.. أفهمهـا دي؟

- عادي.. هو اتولد معاك يوم ٢٠ واتسجل يوم ٢٧.

- مـاشي.. إزاي بقـى نتسـجل في الدفـتر برقمـين مسلسـلين ورا

بعض زي ما هو مكتوب أنا رقم ٣٦ وهو رقم ٣٧.. معقولة يعني من يوم ٢٠ لحد ٢٧ محدش تاني اتولد ولا اتسجل؟

- عادي.. الستات حصل لها احتباس.. السجل المدني كان قافل.. القلم كان ضايع في المكتب.. فيه ألف احتمال واحتمال.

- ومفيش من ضمن الألف دول إنه يكون غلط موظف في التسجيل؟

- موظفين الحكومة مابيغلطوش يا أستاذ.. اتفضل بقى متعطلنيش.

- يعني مفيش حل؟

- لأ طبعا فيه.

- الحقيني بيه أنا في عرضك.. ولا بلاش عرضك دا أحسن أتوه.

- الحل الوحيد إنك ترفع قضية.

- قضية؟!

- طبعا.. أنت عايز تلغي واحد من الوجود..لازم حكم محكمة.

صرخ بثورة:

- واحد مين.. طب هو فين الواحد دا.. حد يجيبه.. دا واحد مش موجود في الوجود أصلا.

- بس موجود على الكمبيوتر.. اتفضل بقى على المحكمة وماتضيعش وقتك.

- يا ست حرام عليكي أنا مقدم على وظيفة.. عقبال ما

الحكـم يطلـع أكـون طلعـت معـاش.

- مش شغلي يا أستاذ.. اتفضل ماتعطلنيش.

تركتـه واسـتدارت –بمجهـود شـديد كفرقاطـة حربيـة تتحـرك في شـارع شـبرا– لتتنـاول أحـد الكتـب مـن دولاب في منتصـف الغرفـة ولفـت نظـره التضخـم الشـديد الـذي تعـاني منـه في مختلف أجـزاء جسـمها حتـى أنـه للمـرة الأولى في حياتـه يـرى سـيدة ذات «لِيّـة».. حملـق فيهـا لفـترة ليسـت بالقليلـة حتـى انتبهـت أنـه لم ينـصرف بعـد فاسـتدارت مـرة أخـرى لـه متسـائلة بعصبيـة:

- في أي حاجة تاني؟!

- لا أبدا.. متشكر جدا.

- بالسلامة.

انـصرف «بـلال» مـن الأحـوال المدنيـة وهـو يـضرب أخماسـا في أسـداس، فقـد اتضـح لـه تمامـا أنـه سـوف يعيـش لفترة ليسـت بالقصـيرة في هـذه المشـكلة.. تذكـر أحـد أصدقائـه منـذ أيـام الدراسـة والـذي احـترف المحامـاة منـذ التخـرج في كليـة الحقـوق فاتصـل بـه فـورا:

- ألو.

- أيوة يا «هاني» صباح الخير.

- صباح النور.

حمـد «بـلال» ربـه أن مـا زال هنـاك بعـض النـاس يـردون تحيـة الصبـاح.. ليـس مـن بينهـم موظفـو الحكومـة أو ضبـاط الشرطـة.

- كنت عايزك في مشكلة قانونية.

- إيه الحوار.. رسيني.

حكى له «بلال» الموضوع فأجابه «هاني»:

- الحوار دا محتاج وقت طويل يا باشا.. عموما اعمل لي توكيل وهات صور شهادات ميلادك إنت ووالدك ووالدتك ووثيقة جوازهم ومؤهلك الدراسي ووَصْل نور وعقد إيجار الشقة وصور شهادات التطعيم من الصحة وأصل وصورة موقفك من التجنيد وفيش وتشبيه وشهادة مختومة من اتنين موظفين ودمغة بجنيه وعديهم عليا ف المكتب بالليل.

- طلباتك صعبة.. أجيب منين دمغة بجنيه!

- هاها.. بتهزر.. مش مهم هابقى أشتريها أنا.

- طيب الحوار دا ياخد وقت قد إيه؟

- يعني لو القاضي اقتنع بكلامنا والحق معاك وكل الورق مظبوط هانخلص في ست سبع سنين إن شاء الله.

- يا حلاوة.

- يالا عشان أنا في جلسة وواقف قدام القاضي وهو مستنيني أخلص المكالمة.. أشوفك بالليل.. سلام.. عفوا سيدي القاضي.

أنهى «هاني» الاتصال تاركا «بلال» في حيرته.. ست سبع سنوات.. ما هذا العذاب.

في الليل ذهب «بلال» كالعادة لملاقاة أصدقائه على المقهى.. فبادره صديقه «عادل» متسائلا:

- مالك يا بني مكشر كده ليه؟

- سيبني في حالي يا «عادل» أنا مش ناقصك.

- إيه بس في إيه؟

- قالوا لي لازم أرفع قضية عشان أحل الموضوع.. والقضية دي هاتاخد سبع سنين عشان تتحل.

- أوبا.. كده دخلنا في فيلم أريد حلا يا معلم.. عارفه؟ فاتن حمامة سيدة الشاشة العربية.. يا بختك يا عم.

- يا بختي إيه هو أنا قلت لك إني هامثل معاها.. بطل هزار بقى وحياة أبوك.

- طيب حاضر.. هاتعمل ايه دلوقتي؟

- مش عارف بقى.

- طب ما تروح تاني للأحوال المدنية.. شوف أي ساعي أو موظف صغير.. ممكن يلاقي لك حل.. خش على بتاع الشاي وهو هايحل لك الموضوع.

- بتاع الشاي.. أنت شكلك اتجننت.. يعني المدير ومدام عفاف ماحلوش المشكلة وبتاع الشاي هو اللي هايحل!

- مين مدام عفاف دي؟

- قصدك مين مدام عفاف دول.

- مش مهم.. يابني افهم.. بتاع الشاي والساعي وعساكر المراسلة في أي مصلحة حكومية هم اللي في إيديهم كل المفاتيح يا معلم.. اسمع كلامي بس.. خش على بتاع الشاي واشرب واحد شاي وادفع له عشرة جنيه ومتاخدش الباقي.. ودردش معاه.. هو هايدلك.

- بس أنا مابشربش شاي.

- خلاص اشرب بنجر.

- ولو معندوش؟

- اشرب من البحر.

- غالبا دا اللي هايحصل.

- يابني طاوعني.

- معنديش حل تاني.. أجرب.

في الصباح الباكر اتجه «بلال» إلى مصلحة الأحوال المدنية للمرة الثالثة، حيث أصبحت زيارة مقام سيدي السجل المدني عادة صباحية لديه واتجه مباشرة إلى البوفيه فوجده مغلقا.. أسقط في يده فالخطة كانت مبنية بالكامل على لَحَلَحة عامل البوفيه.. وقف «بلال» حائرا لا يدري ماذا يفعل فلم يجد بدا من الذهاب مرة أخرى إلى مدام عفاف فوجدها كعادتها تمارس رياضة عَض البيض المسلوق.. كانت تعض البيضة بشراسة غريبة وكأنها تعاقبها:

- صباح الخير يا مدام عفاف.

- أهلا أهلا.. هو إنت.

- لأ، مش أنا.

- خير عايز إيه؟ مش قلت لك روح المحكمة.

- حضرتك المحكمة هاتاخد سبع سنين.. يرضيكي؟

- هاعمل لك إيه يعني؟ بكرة يطلعوا قانون العدالة الناجزة ويخلصوك بسرعة.

- يعني مفيش أي حل تاني؟ شوفي لي حل الله يرضى عليكي.

فكرت قليلا ورشفت رشفتين من كوب الشاي وفركت يديها ثم أخرجت من درج مكتبها نصف رغيف بلدي محشوا بالجبن الأبيض وقالت:

- نـاول دا لمـدام مهـا وقـل لهـا مـدام عفـاف بتصبـح عليكـي وبتقـول لـك هـاتي كتـاب قانـون الأحـوال المدنيـة.

تنـاول «بـلال» السـاندوتش مـن مـدام عفـاف بمنتهـى الحرص وذهـب بـه إلى مـدام مهـا التـي ويـا للعجـب لم تكـن منهمكـة في أكل أي شيء.. يبـدو أنهـا دخيلـة عـلى مصلحـة الأحـوال المدنيـة.. أعطاهـا نصـف الرغيـف فكفـت عـن تقميـع الباميـة وتناولتـه مـن يـده واجترتـه في صمـت حتـى أنهتـه تمامـا.

- بالهنـا والشـفا.. كانـت مـدام عفـاف بتسـتأذنك في كتـاب قانـون الأحـوال المدنيـة.

أخرجـت مـدام مهـا كتابـا مـن تحـت حلـة الباميـة وناولتـه إياه بـدون أيـة كلمـة، فأخـذه «بـلال» وأسرع بـه نحـو عفـاف التـي ألقتـه عـلى مكتبهـا دون اكـتراث، ثـم قلبـت في أوراقـه حتـى توقفـت عنـد فصـل مـن فصـول الكتـاب:

- بـص يـا سـيدي.. انـت بـس عشـان شـكلك ابـن حـلال.. حسـب قانـون الأحـوال المدنيـة لـو قـدرت تجيـب لنـا مـن السـجل المـدني الـلي إنـت اتسـجلت فيـه إن فيـه غلـط في الدفاتـر ممكـن نحـل لـك المشـكلة.

- فعلا؟

- آه.. انت اتسجلت فين؟

- في روض الفرج.

- خـلاص اطلـع عـلى السـجل المـدني في روض الفـرج وهـات منهـم مـا يفيـد إن الدفـتر متسـجل فيـه شـخص واحـد فقـط مـش اتنـين وأنـا أسـاعدك بعـد كـده.. هـو دا الحـل الوحيـد.

خـرج «بـلال» مـن السـجل المـدني بالعباسـية مسـتغرقا في التفكـير.. فالذهـاب إلى روض الفـرج الـذي لا يعلـم أيـن هـو يعتـبر مغامـرة غـير مأمونـة العواقـب.. فضـلا عـن شـكّه في أن هـذه توزيعـة جديـدة مـن مـدام عفـاف كـي تتخلـص منـه وتهرب مـن مشـكلته.. إلا أنـه بعـد التفكـير قـرر المـضي في المشـوار حتـى نهايتـه.. فليـس لديـه مـا يخسره.. اسـتقل سـيارته واتجـه مـن فوره إلى شـبرا.. شـبرا الموطـن الأصـلي للتكـدس والزحـام والالتحـام، وأخـذ يسـأل المـارة عـن كيفيـة الوصـول إلى قسـم شرطـة روض الفـرج.. وهنـا يظهـر الفـارق بـين نوعـين مـن المواطنـين.. فعنـد السـؤال عـن الطريـق في الشـارع هنـاك مـن «يَـدِلّ» وهنـاك مـن «يُضِـلّ» وهـو الأكثـر شـيوعا.. وقـد كانـت هـذه عينـة مـن الأجوبـة التـي تلقاهـا:

- قسم روض الفرج.. دا بعيد جدا.

- قسم روض الفرج.. طب وإنت إيه اللي جابك هنا؟

- قسـم روض الفـرج.. قسـم روض الفـرج.. لا حضرتـك دا مـش هنـا خالـص.

- روض الفرج.. هم قالوا لك فين؟

- خش يمين اللي جاي واسأل تاني برضه.

- شـايف بتـاع المـوز الـلي هنـاك.. وحـش ماتشـتريش مـن عنـده (سرحـان عبدالبصير سـتايل).

بعـد الكثـير مـن السـؤال والتسـاؤل والتوهـة والدوخـة وصـل أخـيرا إلى الشـارع المنشـود ليفاجـأ أن الشـارع مسـدود مـن منتصفـه هـو وكل الشـوارع المحيطـة بالقسـم، وممنـوع دخـول

السيارات إلا إذا كنت ضابط شرطة أو تعرف ضابط شرطة أو شكلك شكل ضابط شرطة.. فيما عدا ذلك عليك أن تركن في آخر العالم -كما قال السادات- وتذهب إلى القسم مشيا على الأقدام.. تحت الشمس والعرق والتراب والغضب اتجه «بلال» إلى بوابة القسم ليجد أحد أمناء الشرطة يعترضه على مدخل البوابة:

- على فين يا أستاذ؟

- طالع السجل المدني.

- وعايزهم ليه؟

- عادي مواطن وعايز السجل المدني.

- هو أي مواطن يعوز السجل المدني؟! عايز منهم إيه يعني؟

- هاسأل على حاجة في القيد العائلي.

- هممم.. القيد العائلي.. معاك بطاقة؟

- يعني هم اللي مش معاهم بطاقة مابيطلعوش السجل المدني؟

- لأ، يا خفيف.. بيطلعوا على طره.

- لأ، ولا طره ولا غيره.. خد يا سيدي البطاقة أهي.

- البطاقة دي منتهية.. ممنوع تدخل بيها.

- يعني إيه ممنوع؟!

- مينفعش تدخل القسم إلا لو معاك بطاقة سارية.. لازم تجددها.

- حاضر.. أجددها منين بقي؟

- من السجل المدني فوق.

- ما قلنا كده من الأول.. تسمح لي أطلع أجددها؟

- لأ.. بطاقتك منتهية ولازم تجددها قبل ما تطلع على السجل المدني.

- طب إزاي يعني.. البيضة ولا الفرخة!

- دي تعليمات يا أستاذ.

أشار له «بلال» بورقة نقدية من فئة العشرين وقال بلهجة ذات مغزى:

- معلش والنبي عديني المرة دي وانا عنيا ليك.. وبعد كده أوعدك هاجدد البطاقة بعد كده كل ست ساعات.

قال الرجل على مضض:

- ماشي المرة دي بس.

- كتر خيرك.

أخذ أمين الشرطة منه البطاقة وسجل بياناتها ثم قال له:

- حضرتك بقى تيجي بكرة الصبح.

- ليه بقى؟

- الساعة عدت واحدة يا بيه.. كل الموظفين مشيوا.

- ويعني كان لزمته إيه التحقيق دا بقى؟

- إجراءات أمن يا بيه.. اتفضل وتعالى بكره.. وهات معاك البطاقة، وتكون مجددها.

- .....

كالعادة انصرف «بلال» بخفي حنين، وخرج من شبرا متجها إلى بيته عازما على النوم حتى صباح اليوم التالي كي ينتهي هذا اليوم المحبط.. في طريقه إلى المنزل اتصل به «عادل» تليفونيا متسائلا عن آخر الأخبار:

- مفيش هاروح بكرة السجل المدني أجيب ورقة إن الدفتر فيه غلط في التسجيل.

- أيوة بقى.. كده أنت دخلت على فيلم عوكل يا معلم.. والراجل العجوز اللي هايجيب لك الدفاتر من الأرشيف ويولع في الدفتر.

- إلهي يولعوا فيك يا بعيد.. إيه الذاكرة السينمائية الجامدة دي؟

- يابني الدنيا سيما في طبيعتها كلها أفلام على رأي أغنية المرجيحة، واللي بيحصل لك دا أكبر دليل.

- اعمل لي فيها بقى جورج أبيض.

- يا عم لا جورج أبيض ولا جورج سيدهم.. أنا بارسيك على الحوار.. بكرة تخلي بالك من السبرتاية عشان الدفتر مايتحرقش.. أنت حر بقى.

- عموما مافيش حل تاني.. خلينا ورا الكداب لحد باب الدار.

في اليوم التالي تواجد «بلال» أمام مكتب السجل المدني بروض الفرج وبعد إنهاء الإجراءات الأمنية من قِبَل أمين شرطة يمسك بباذنجانة مخللة ويتمزمز بها أثناء تسجيل البيانات في دفتر زوار القسم، ثم أرشده إلى حيث السجل

المدني بإشارة متعالية من إصبعه.. اتجه «بلال» للسجل المدني ودلف إلى مكتب إحدى الموظفات ليلحق بها قبل أن تنهمك في أكل إفطار الصباح:

- صباح الخير.

- هو إحنا لحقنا.. خير يا أستاذ.. إنت بايت هنا ولا إيه؟

- معلش يا أستاذة أنا قلت ألحق من بدري قبل ما تنشغلوا في فطار أو شغل أو أي حاجة.

- ما هي الولية أم دعاء اتأخرت بالفطار.. مش عارفة إيه اللي أخرها.

- ربنا يجيبها بالسلامة.

- خير يا سيدي عايز إيه على الصبح كده؟

حكى لها «بلال» عن تفاصيل مشكلته وأنهى حديثه قائلا:

- وقالوا لي إني لو جبت من هنا ما يفيد إن الدفاتر مافيهاش «جلال» يبقى المشكلة هاتتحل بسرعة إن شاء الله.

- مكانش يتعز يا أستاذ.. مش هاقدر.

- ليه بس يا ستي؟ هادور معاكي في الدفاتر.

- دفاتر إيه بس يا أستاذ.. الدفاتر كلها اتحرقت في ثورة ٢٥ يناير المجيدة.

- اتحرقت؟!

تذكر بقهر سخرية «عادل» وفيلم عوكل الذي حُرق فيه الدفتر المسجل به.

- آه وشرفك.. كان فيه ثوار شرفاء في التحرير.. وناس شرفاء تانيين هجموا على القسم وحرقوا كل اللي فيه بمنتهى السلمية.. والدفاتر كلها اتحرقت من ساعتها.

- دول مش الثوار حضرتك.

- ثوار مش ثوار بقى مش شغلي.. أهم كتر ألف خيرهم حرقوا الدفاتر وريحونا من البحث والتدوير على اسم كل من هب ودب.

- يعني مافيش أي نسخة من الدفاتر دي؟

- نسخة من إيه بقى.. ما خلاص.. كان عسل واتغسل.

- يادي المصيبة.

- ماتقولش كده.. كله خير إن شاء الله.

- كده الوظيفة هاتروح عليا.. آخر أمل ليا كان في الورقة دي.

- ممكن أديك ورقة إن مافيش دفاتر عندنا لأنها اتحرقت في الثورة.

هتف «بلال» مكملا:

- المجيدة.

- طبعا مجيدة.

- ودي أعمل بيها إيه.. ما هي مش دليل إن مافيش «جلال».

- مش عارفة.. يمكن تفيدك.. استنى صحيح.. أنا جت لي فكرة.

- خير؟

- عارف ممكن تلاقي نسخة من الدفتر فين؟

سألها «بلال» في لهفة:

- فين؟

- في دار المحفوظات في القلعة.. بس احتمال صعب.

- أهو احتمال وخلاص.

- وعموما آدي ورقة تقول إن الدفتر اتحرق ومافيش أي بيانات غير اللي على الكمبيوتر.

- يا ريته كان اتحرق بجاز الكمبيوتر هو كمان.

- يلا يا راجل أحسن عشان نبطل الشغلانة الهم دي.

- عموما متشكر.. كتر خيرك.. سلامو عليكم.

- مستعجل على إيه ماتقعد تفطر أم دعاء زمانها جاية.. جايبة فلافل وحاجات.

اتجه «بلال» من فوره إلى القلعة حيث دار المحفوظات.. متمسكا بأنامل الأمل البسيط الذي يلوح بضعف في الأفق.. فقد يكون الحل في دار المحفوظات التي من صميم عملها القيام بحفظ كل الوثائق والمستندات في نسخ زنكوغرافية*.. اتجه إلى الباب ليجده مغلقا كعادة أبواب القدر في وجهه هذه الأيام.. ووجد أحد العمال بجوار الباب فسأله:

- هم الموظفين مشيوا ولا إيه؟

---

* إيه زنكوغرافية دي؟!

- خير عايزهم في إيه؟
- أصل في وثيقة كنت عايز أعرف في نسخة منها هنا ولّا لأ؟
- وثيقة مهمة؟
- مهمة جدا.. مسألة حياة أو موت.
- وثيقة أثرية يعني؟
- هي قديمة بس مش لدرجة أثرية.. يعني بقى لها ييجي ٣٥ سنة بس.
- لا اتطمن يا بيه.. احنا هنا عندنا وثائق من مئات السنين.. بس وثيقة إيه دي برضه اللي انت عايزها؟
- وثيقة ميلاد.
- ميلاد شخصية تاريخية ملك أو خديوي مثلا؟
- لألأ.. مش قديم قوي كده.. دي شهادة ميلادي أنا.
سأله باهتمام حقيقي:
- هو حضرتك خديوي؟
- لأ.
- يبقى إنت جاي تهزر يا بيه.. يلا اتكل على الله معندناش وثائق هنا.
- ليه بس.. مش من حقي أطلب شهادة ميلادي ولا إيه؟
- يا بيه المواطنين العادة اللي زيكم يطلعوا الشهادات من السجل المدني.. دار المحفوظات دي للشخصيات المهمة.
- هو انا ما قلتلكش.. مش الدفاتر اتحرقت في الثورة المجيدة.

- دفاتر!! هو لسه حد بيطلع شهادات ميلاد من الدفتر.. أمال الكمبيوتر راح فين؟

- لأ ما هو في مشكلة عائلية كده بيني وبين الكمبيوتر مش عارف أحلها.. وبعدين إنت هاتصاحبني.. فين الموظفين خلليني أسألهم؟

- طلبك مش هنا يا أستاذ.. إحنا مابنحفظش هنا الحاجات دي.

- أمال بتحفظوا إيه هنا؟ قرآن؟

- طبعا.. عندنا مصاحف أثرية و...

- خلاص يا عم أنت هاتعملي فيها مرشد سياحي.. سلام.

غادر «بلال» محيط دار المحفوظات بالقلعة والغبار يتطاير تحت شمس الظهيرة وتتطاير معه حبات الأمل في وجود نهاية للروتين والبيروقراطية اللامتناهية في هذا البلد.. وتذكر الحالات التي كان يقرأ عنها في الصحف والمجلات عمن يقف أمام الموظف بشحمه ولحمه فيطلب الموظف منه إثباتا أنه حي يرزق، وأن يدلل على ذلك بشهادة من اثنين موظفين عموميين لا يقل مرتبهما عن مائة جنيه، كان يقرأ هذه الحكايات ويضحك معتقدا أنها من نسج خيال محرري الصحيفة حتى وجد نفسه في وسط حكاية أغرب من الخيال.. بنهاية اليوم قام بتحضير بعض الأوراق التي طلبها المحامي وتركها في المكتب عازما على زيارة مدام عفاف في الصباح التالي لاستشارتها في حالته بعد احتراق الدفاتر في روض الفرج.

في الصباح توجه «بلال» لأحد مطاعم الفول والفلافل القريبة من الأحوال المدنية بالعباسية، واصطحب باقة من الساندوتشات الخفيفة والثقيلة كي لا يدخل على مدام عفاف خالي الوفاض.. فبالنسبة لمدام عفاف قد يكون الفول كفيلا بإثارة شفقتها عليه وتجد له حلا آخر بعد أن سدت الطرق في وجهه.. دخل من بوابة المبنى وألقى نظرة على اللافتة السوداء الكئيبة «السجل المدني»، وبدا له أن إزالة النقطة من تحت «الجيم» ستجعل اللافتة أكثر منطقية.. عبر من تحت اللافتة واتجه صوب مكتب عفاف ودخل عليها ليجدها تهم بالبدء في تناول الإفطار فبادرها:

- صباح الخير يا مدام عفاف يا عظيمة.

- هو إنت.. إنت إيه يابني.. مربوط بأستك؟! كل ما نبعتك في حتة ترجع لنا تاني.

- معلش بقى يا مدام عفاف.. ايه اللي في إيدك دا صحيح؟

- فطار.. عشان أصطبح وافوق لك إنت وغيرك.

- ودا فطار دا برضه.. دا أنا جيب لك فطار ملوكي.. فول اسكندراني وفول بالصلصة وفلافل محشية وجبنة مقلية وبطاطس مهروسة وبابا غنوج وبيض مسلوق وبتنجان مقلي ومخلل وسلطة ورز بلبن وبيبسي دايت.

- بس؟

- بألف هنا وشفا.

- ليه دا كله يعني؟

- يدوب عشان يكفي.. آآ.. قصدي مش كتير عليكي يا

مـدام عفـاف.. وبعديـن دا إنتـي الـلي هاتحـلي لي مشـكلتي مـع الكمبيوتـر يبقـى لازم أعمـل الـلي يرضيكـي.

سألته وهي تهبر ساندويتش الفلافل هبرًا:

- إنت كانت إيه مشكلتك كده فكرني؟

حكـى لهـا بإيجـاز عـن مشـكلته مـع «جـلال» والكمبيوتـر والسـجل المـدني ورحلتـه إلى القلعـة وعودتـه خـالي الوفـاض.. اسـتمعت مـدام عفـاف لحكايتـه، ثـم نظـرت للساندويتشـات الماثلـة أمامهـا كأسرى حـرب ينتظـرون مصيرهـم مـن قائـد الأعـداء، ثـم حكمـت عـلى سـاندويتش البطاطـس المهروسـة بالإعـدام هـبرًا، وقـررت تنفيـذ الحكـم فـورا فألقتـه إلى فمهـا وأعملـت فيـه صفـين مـن الجنـود الأشـداء ثـم قالـت:

- بـص يـا أسـتاذ بـلال.. الحـل الوحيـد إنـك تجيـب شـهادة وفـاة لـ «جـلال»، وتخلـص منـه ومـن سـيرته الغـم دي.

- شهادة وفاة؟!

- أيـوة.. سـاعتها يتكتـب في القيـد العائـلي إنـه متـوفى ويبقـى كأنـه مالهـوش وجـود أصـلا.

- ودي أعملها إزاي دي بقى؟

- مـش عارفـة.. بـس ممكـن تسـأل بقـى حـد مـن الموظفـين القـدام وهـو يدلـك.. وتعـالي لي بكـرة قـل لي عملـت إيـه.

- بكرة؟!

- أيـوة.. بكـرة وبعـده.. وتعـدي عليـا كل يـوم.. بـس متجيـش بإيـدك فاضيـة.

قالتهـا بلهجـة ذات مغـزى وهـي تشـير لهضبـة الفلافـل الماثلـة

أمامها في طبق الالتهام.. ففهم «بلال» قائلا:

- آآآه.. من عنيا.. كل يوم من دا.. أنا بقيت مورد التموين الخصوصي بتاع حضرتك.. عن إذنك.

انصرف «بلال» من مكتب مدام عفاف بعد أن قررت أن يكون هو المسئول عن وصول الدعم الغذائي لمستحقيه وقد فتحت أمامه بابا جديدا للأمل.. واتصل بصديقه «هاني» المحامي في التليفون ليستشيره فيما استجد من أمل:

- آلو يا «هاني» إزيك.

- إزيك إنت.. أنا استلمت الورق.. ناقصه شوية أختام وتوقيعات وتصديقات بس أنا هاتصرف.. الموضوع هاياخد وقت وشوية مصاريف لحد ما ارفع القضية.

- لأ استنى قبل ما تتصرف.. في حل تاني غير القضية.

- حل إيه؟ يابني مافيش غير القضاء المصري الشامخ.. هو صحيح بيتأخر.. إنما بيتأخر بشموخ.

- ما هو عشان بيتأخر أنا قررت ألجأ لحل تاني.

- بس أنا خلاص رفعت القضية.

- أنت مش لسه قايل إنك هاتتصرف ولسه قدامنا وقت طويل!

- لا ما أنا اتصرفت خلاص.. عموما هاتصرف وألغيها بس دا هايكلفك شوية.. المهم.. قل بقى إيه هو الحل التاني؟

- شهادة وفاة.

- إنت عايز تموته يعني؟

- أمـوت مـين يـا بنـي إنـت.. أمـوت واحـد مـش موجـود أصـلا.. أنـت هاتلبسـني قضيـة؟!

- قصدي يعني تموته على الأوراق الرسمية.

- آه.

- طيب قول كده.

- أديني قلت كده.. عندك حد ينجزنا في المشوار دا.

- أنـا كنـت أعـرف حـد لكـن مـش عـارف لسـه شـغال في الحاجـات دي ولا لأ.. عمومـا هاسـأل وأقـول لـك.

- ماشي بس متتأخرش عليا.

- مسافة السكة.. يلا سلام.

انتظـر «بـلال» ردا مـن «هـاني» طـوال اليـوم لكنـه لم يـرد فاتجـه بنهايـة اليـوم إلى ملتقـى الأصدقـاء ليجـد «عـادل» قابعـا في ركنهم المعتاد.

- إنت فين يا عم بقى لك يومين مش ظاهر؟

- أديني مسحول والله في الموضوع الزفت اللي جالي دا.

- وآخر الأخبار إيه.. خلصته؟

- لسه بدري.....

قـص عليـه «بـلال» مسـتجدات الأحـداث وسرد لـه موضـوع شـهادة الوفـاة:

- كده الموضوع اتعقد خالص.

- هانعمـل إيـه بقـى.. بلدنـا كـده وآدي الروتـين.. هانكفـر بالبلـد؟ نشـوف بلـد تانيـة بتحـترم البنـي آدمـين لا سـمح الله! كل

مواطـن بياخـد نصيبـه.

ضيق «عادل» عينيه مفكرا:

- طيـب وإنـت عايـز تخلـص منـه ليـه؟ أنـا بقـى هاقـول لـك عـلى خطـة أحسـن.

- خطة إيه؟

- إنـت هاتطلـع بطاقـة رقـم قومـي لـ «جـلال» بصورتـك.. ونـضرب لـه عقـد ملكيـة لقطعـة أرض ودي حاجـة سـهلة جـدا عـلى فكـرة، وبضـمان الأرض ناخـد قـرض كبـير مـن البنـك.. ونطلـع لـه باسـبور وتسـافر عـلى أي بلـد في الدنيـا وترجـع بباسـبورك الأصـلي.. «بـلال» يعنـي.. وهوبّـا «جـلال» يـضرب عـلى فلـوس القـرض والحكومـة والبنـك يـدوروا عـلى «جـلال» بقـى ويثبتـوا إنـه حـي ولـه كيـان.. ونكـون احنـا بنتنغنـغ في العـز والنعيـم.

- إحنا؟!

- أيـوة.. أنـا وأنـت مـا أنـا هاخـد نـص المبلـغ.. مـش أنـا صاحـب الفكـرة.. ولا عايـز تفرقعنـي.

- لأ، طبعـا.. أوعـدك لـو الموضـوع ماتحلـش هاعمـل كـده.. وهاتبقـى الحكومـة هـي الـلي جابتـه لنفسـها.

- حكومة تستاهل.. واحنا نستاهل كل خير.

هنـا رن جـرس التليفـون المحمـول الخـاص ببـلال.. كان «هـاني» هـو المتصـل.

- أيوة يا «هاني».. عملت إيه؟

- فرجت يا سيدي.. لقيت لك اللي هايخلّص.

- قل لي.

- واحد شغال في المشرحة.. هانستنى حادثة ييجي فيها مجهول.. الراجل هايكمّر الجثة ويقول إنها بتاعت «جلال».. ونطلع تصريح دفن باسمه ثم شهادة وفاة سليمة ورسمية.

- بس دا كده الموضوع كبير قوي.. أنا كنت فاكر هانطلع شهادة وفاة بس.. مش جثة ومشرحة وحاجات كده.

- لا طبعا.. عشان نعمل الغلط لازم نعمله صح.. وأهم من الشغل ظَبْط الشغل.. وبعدين دا الراجل هايكرمنا عشان معرفة قديمة.

- هايكرمنا إزاي.. هاينقي لنا جثة طازة يعني؟

- لأ هايكرمنا في السعر.. هاياخد عشرة آلاف جنيه بس.

- بس! لا دا كده يبقى كرمنا قوي.. خلاص سيبني أفكر وأرد عليك.

- بس بسرعة عشان عنده بضاعة جاهزة والحاجات دي لُقَطْ.. عايزين نلحق.

- لُقَطْ! هو إحنا بنجيب شقة من ابني بيتك؟ عمومًا هابقى أكلمك.. سلام.

سأله «عادل» عن فحوى المكالمة فأخبره «بلال» بالتفاصيل.

- أوبّا.. كده يا معلم قلبنا على فيلم احترس من الخِط بتاع عادل إمام.. وصلت للزعيم مرة واحدة.. هنيالك يا عم.

- خلينا كده ندخل على فيلم ونخرج من فيلم ولا حد

عـارف يحـل المشـكلة!

في اليـوم التـالي قـرر «بـلال» اللجـوء إلى أحـد المسـئولين الكبـار في الأحـوال المدنيـة علـه يكـون لديـه حـل آخـر غـير الالتـواء والتحايـل عـلى القانـون.. اتجـه مـن جديـد إلى المصلحـة فوجـد مكتـب أحـد الضبـاط المسـئولين عـن الشـئون القانونيـة طـرق البـاب فلـم يسـمع صوتـا يدعـوه للدخـول فطـرق مـرة أخـرى.. ثـم تجـرأ ففتـح البـاب بحـذر ليجـد الضابـط الـذي يحمـل عـلى كاهليـه رتبـة عقيـد يجـري حـوارا بروتينيـا مـع نصـف فرخـة بالسـلاطات وإصبعـين مـن الكفتـة ورغيفـين.

- مساء الخير يا فندم.

- منهاااهههور (مساء النور بفم مليء بالطعام).

- مـن فضلـك أنـا عنـدي مشـكلة وكنـت عايـز أسـأل حـد مسـئول عـلى حـل ليهـا.

- الموظفين كلهم مشيوا.

- أمال سيادتك مين.

- أنـا العقيـد وحيـد مـن الشـئون القانونيـة.. بـس التعامـل مـع المواطنـين أمثالـك يبقـى مـع الموظفـين مـش معايـا شـخصيا.. وبعديـن دي سـاعة غـدا.

- معلـش أنـا آسـف والبركـة فيـك والشرطـة في خدمـة الشـعب و....

- خلاص إنت هاتشحت.. احكي بس بسرعة.

قـص عليـه «بـلال» الموضـوع بالتفصيـل ويبـدو أن العقيـد وحيـد وجـد الحكايـة مسـلية فأخـذ يسـتمع وتظهـر عـلى وجهـه

آثار الاستمتاع بالفرخة التي يبدو أنها كانت جيدة الشواء.. انتهى «بلال» من قصته وانتظر ريثما ينتهي الضابط من غدائه ولعق أصابعه ثم قال:

- بص يا أستاذ.. الموضوع بتاعك دا ماهوش غير حل من تلاتة.. قضية ومحكمة.. شهادة وفاة لـ «جلال».. أو شهادة ميلاد ورقية من بتوع زمان تثبت إن «جلال» هو «بلال» وحصل خطأ في النقل من الدفتر للكمبيوتر.

- ودي أجيبها منين؟

- من السجل المدني اللي إنت متسجل فيه.

- ما هو سيادتك اتحرق في الثورة المجيدة زي ما قلت لك.

- خلاص شوف أي جهة رسمية تكون مقدم فيها شهادة ميلاد ورقية.. جامعة.. مدرسة.. أي حاجة.. وخد ملفك وهات لنا الشهادة وأنا أخلص لك الموضوع.

- مدرسة.. والله فكرة.. شكرا يا وحيد باشا.. ربنا يخليك للناس.

انصرف «بلال» وهو ينوي زيارة مدرسته القديمة في اليوم التالي.. فهو يذكر جيدا أن ملفه كان يحتوي على عدة شهادات ميلاد ورقية قديمة.. دعا «عادل» ليرافقه في رحلته إلى المدرسة.

- طبعا عارف دا يبقى فيلم إيه؟

- إيه؟ مدرسة المشاغبين؟

- لا يا حبيبي.. دا فيلم الناظر بتاع علاء ولي الدين.. على الله بس نلاقي الناظر زي ما هو ماتغيرش.

- ماشي.. معادنا بكرة الصبح.

في الصباح التالي مر «بلال» على صديقه «عادل» ليذهبا معا إلى مدرستهما القديمة.. وجد «عادل» يرتدي زي المدرسة البنطلون الكحلي والقميص اللبني ويحمل حقيبة مدرسية صغيرة.. حتى شعره أنامه على أحد جانبيه فبادره «بلال» ساخرا:

- إيه يابني المنظر اللي انت عامله دا؟

- أهو باسترجع الذكريات.. بس كيس الساندوتشات مش عايز يدخل في الشنطة.

- كمان ساندوتشات!

- طبعا أمال هنعمل إيه في الفسحة.. يلا بينا بسرعة بقى على المدرسة.

اتجه «بلال» و«عادل» نحو المدرسة وأخذا يسترجعان ذكريات الطفولة والدراسة والتزويغ المدرسي البريء الذي كان يتبعه لعب الكرة لساعات طويلة.. مرا بجوار سور المدرسة الذي طالما مارسا قفزة الثقة من فوقه فلم يجدا أي طالب يقفز من فوق السور مما أثار دهشتهما.. يبدو أن طلاب هذا الجيل لا يزوغون تركيزا في الحصص الدراسية.. وبوصولهما إلى باب المدرسة الأخضر الكبير وجداه مفتوحا على مصراعيه بدون حارس أو بواب.. هذا الباب يذكر «بلال» أنه كان موصدا بالسلاسل والجنازير والمتاريس وأربعة كلاب بلدي مسعورة والعديد من أعضاء سلاح الشرطة المدرسية المدججين بالعصي والخراطيم ودفاتر الغياب لمنع

أي طالب تسول له نفسه الاقتراب من باب المدرسة.. وتذكر أيضا استغلال أحد الفراشين امتلاكه مفتاح قفل الباب وكان يعرض على الطلبة تعاطي رشوة عشرة جنيهات كي يخرجهم من المدرسة.. كان هذا مبلغا كبيرا للغاية في ذلك الوقت يكفي لخروج الطالب من جهنم نفسها*.. أما الآن فالباب مفتوح ولا أحد يخرج منه.. ماذا هناك؟! اتجها مباشرة إلى مكتب الناظر فلم يجدا أي فراش أو ساعٍ أمام باب مكتبه.. طرقا الباب ودخلا فوجدا المدير لم يتغير منذ كانا في الثانوية العامة.. لم يتغير شخصه فقط، ولكن كل شيء آخر فيه قد تغير.. صوته وهيئته وقوته.. أصبح –بالطبع– أكبر سنا.. وأضعف.. واهن الصوت متعبه.. ما أن رآهما حتى رحب بهما ودعاهما للجلوس على غير عادته حيث كان ترحيبه بأي طالب أيام زمان بآلة اخترعها بنفسه تجمع بين قوة الخرطوم ولسعة الكرباج وصلابة العصا وإهانة الشبشب.. وكان يسميها «الفرقلة».. نظر «عادل» في المكتب عن الفرقلة سالفة الذكر فلم يجدها.. تقدما من المدير وبادره «بلال» محييا:

- إزاي حضرتك يا أستاذ حامد.

- أهلا يابني.. اتفضلوا اقعدوا.

- إحنا كنا طلبة في المدرسة دي في ثانوي.

قال المدير بأسى:

---

* في الواقع لم يكن هناك فارق بين جهنم والمدارس الحكومية.

- طالما قلت يا «أستاذ» تبقى أكيد كنت هنا من أكتر من عشر سنين.

- مانا لازم أقول «أستاذ» يا أستاذ.. أمال هقول لحضرتك إيه يعني؟

- كمان حضرتك!! فكرتني بأيام زمان.

- ليه يا أستاذ.. هو الطلبة بتقول لحضرتك إيه دلوقتي؟

- الطلبة.. وهما فين الطلبة؟ دا أنا بقى لي أسبوعين مشفتش حد فيهم.. طب والله وحشوني ووحشتني دوشتهم.

- يعني إيه؟ مابيجوش؟ طب والغياب!

- ومين بس اللي هاياخد الغياب؟

- المدرسين يا أستاذ حامد.

- والله وحشوني هما كمان.. كلهم بييجوا يمضوا ويمشوا عشان الدروس.. وبياخدوا الطلبة معاهم.. والباب مفتوح أهو زي مانتم شايفين اللي عايز يدخل يدخل.. واللي عايز يخرج يخرج.

- طب وفين.. الموجهين.. مشرفين الدور.. رائد الفصل.. مشرف الإعدادي والثانوي.

- كلهم يابني مشغولين في الدروس الخصوصية.

- يعني الطلبة مابتجيش خالص؟

- لأ طبعا.. ساعات بييجوا ياخدوا جدول الامتحان.. ياخدوا رقم الجلوس.. ياخدوا بحِسّي ويشقروا عليا.. غير كده مفيش.

- دا الدنيا اختلفت خالص.. أنا كنت فاكر هاجي ألاقي المدرسة زي زمان.

- وهو إيه يابني لسه زي زمان.. زمان كان اللي يتكلم فيكم في الفصل المدرس يعمل عليه حفلة.. وكان آخركم تلعبوا بالأقلام.. تلعبوا أفلام.. تاكلوا ساندويتشاتكم أثناء الحصة.. آخر أيام حضور الطلبة هنا كانوا كلهم شغالين باللباتب والتبالت* والمدرس شغال ولا حياة لمن تنادي.

- طيب يا أستاذ حامد ماتكلم الوزارة.

- الوزارة مشغولة بالكادر الخاص والمظاهرات ومشاكل الموظفين وتسريب الامتحانات.. وأنت عارف إن مابيعيشلناش وزير.. سيبك.. المهم انتم يا ولاد.. بقيتوا فين بعد ما سيبتوا المدرسة؟

- في الدنيا.. المهم أنا كنت عايز حضرتك في خدمة.

- خير؟

- يا ترى الملفات بتاعتنا لسه موجودة ولا اترمت؟

- بص يابني.. أنا مارميتش حاجة من عشرين سنة.. الملفات كلها فوق السطح.. عايز إيه منها؟

قص له «بلال» الحكاية كاملة ثم أردف:

- لو لقيت الشهادة الورق بنفس رقم القيد بتاع «جلال» وباسم «بلال» هاتوفر عليا وقت كتير جدا.

- طبعا أنا مش هقدر أساعدك في التدوير.. السطح عندك..

---

*جمع «لابتوب» و«تابلت».

اطلع انت وصاحبك ودوروا ولو لقيت يبقى حظك حلو.

- شكرا يا أستاذ حامد.. يلا يا «عادل».

صعد «عادل» و«بلال» إلى سطح المدرسة وألقيا نظرة على فناء المدرسة الذي كان دوما يعج بالطلبة الذين كانت أقصى أمانيهم انتهاء اليوم الدراسي والعودة إلى المنزل لمشاهدة أفلام كارتون القناة الثالثة بعد الغداء.. بدا لهم الفناء موحشا للغاية وهو خاو على عروشه إلا من كلب ضال كان يلبي نداء الطبيعة داخل مرمى كرة القدم.. نفض «بلال» هذه الأفكار عن رأسه وركز في أكوام الملفات الملقاة أمامه والتي تمثل الكومة منها حجم حجر من أحجار الأهرامات، فضلا عن أنها ليست مرتبة بأي شكل من الأشكال لا أبجديا ولا بحسب التواريخ ولا أي شيء..

- هانبدأ منين يا عبقري؟

- مش عارف.. الموضوع كبير قوي.. تعالى نبدأ بالكومة اللي هناك دي.

غاص الصديقان بين الملفات لمدة ست ساعات متواصلة حتى عثر «بلال» بمعجزة ما على الملف المنشود وصاح في فرح:

- أويوركا.. أويوركا.

- إيه يابني.. نحلة قرصتك؟

- نحلة إيه يا جاهل.. مش عارف أويوركا يعني إيه؟

- عارفه طبعا.. دا الجون بتاع ريال مدريد.

- يا عيني على العلام.. يابني أويوركا دي يعني وجدتها.

- وجدتها!! عبط احنا يا عصام.. وجدتها يعني آي فاوند شي I found she

- She!

- أيوة.. مش الشهادة مؤنثة تبقى she.

- شي يا حمـ.... ولا بلاش.. أويوركا دي أرشميدس قالها لما اكتشف قانون الطفو.

- مخدناهاش دي في الفصل.

- مش مهم.. المهم إننا لقينا الشهادة.. يلا بينا.

مرا في طريق عودتهما على مكتب المدير الذي سألهما بصوت واهن:

- إيه يابني.. لقيت اللي بتدور عليه؟

- آه يا أستاذ حامد.. متشكرين جدا.

- العفو.. ابقوا تعالوا يا ولاد.. أنا على طول بابقى هنا.

- أكيد هانيجي يا أستاذ.. عن إذنك.

خرج الصديقان من المدرسة بأحاسيس مختلفة يغلفها الشعور بالسعادة للحصول على الورقة التي سوف تنهي كل هذا العذاب البيروقراطي.

نام «بلال» في هذا اليوم محتضنا شهادة الميلاد الورقية شاعرا بارتياح شديد بعد أن أصبح يمتلك دليل برائته من تهمة «جلال» في يده.. في صباح اليوم التالي توجه «بلال» بالشهادة الورقية إلى مصلحة الأحوال المدنية التي صار

يعـرف طريقهـا أكثـر ممـا يعـرف غرفتـه.. توجـه مبـاشرة نحـو مكتـب العقيـد وحيـد ملوحـا بالشـهادة الورقيـة في يـده.. نظـر إليـه وحيـد بعـدم اكـتراث مشـوب باللامبـالاة مغلـف بعـدم الاهتـمام محـاط بالتجاهـل فبـادره «بـلال»:

- باشا.. أنا جبت الشهادة.

- شهادة إيه؟

- شهادة ميلادي.

- ومالـك فرحـان كـده ليـه.. وبعديـن انـت لسـه مطلـع شـهادة ميـلاد دلوقتـي! إيـه الجنـان دا؟!

- أنت نسيتني ولا إيه يا باشا؟

- نسـيتك.. آه.. أحبـك لا.. مالـك ياخويـا متأثـر كـده ليـه.. هـو أنـا خالـك ولا حاجة؟

- لا يا فندم العفو هو أنا أطول؟

- أمال إيه حكايتك؟

قـص «بـلال» قصتـه للمـرة المليـون في تاريخـه وأنهـى القصـة بالجملـة المنقـذة:

- وحضرتـك قلـت لي لـو جبـت شـهادة ورقيـة باسـم «بـلال» وبنفـس رقـم قيـد «جـلال» ممكـن المشـكلة تتحـل.

فكر وحيد مليا ثم قال:

- طبعـا تتحـل.. إنـت تاخـد الشـهادة دي وتطلـع بيهـا عـلى المحكمـة وتجيـب لنـا حكـم قضائـي.. وأنـا أحـل لـك المشـكلة فـورا.

- محكمة!! مش حضرتك قلت لي لو جبت الشهادة مش هاحتاج لمحكمة؟!

- لأ أنا ماقلتش كده.. إنت كده أثبت إن فيه خطأ في تسجيل «جلال» وإن اسمه الحقيقي «بلال».

- الله ينور عليك.. يبقى مفيش «جلال».

- لأ.. يبقى فيه في الدفتر اتنين «بلال».. «بلال» برقم ٣٦ و«جلال» برقم ٣٧.. عليك بقى إنك تثبت إنهم واحد مش اتنين اخوات.

- إزاي بقى اتنين اخوات يبقى لهم نفس الاسم؟

- قبل سنة ١٩٩٢ كان القانون لا يمنع تسمية الإخوات بنفس الاسم.

- لا يا شيخ!

سمع بلال بصوت الخيال عادل يقول له «قشطة يا معلم.. كده دخلت على فيلم كده رضا.. منة شلبي يا عم مين قدك».. نفض بلال هذه الأفكار سريعا وقال للضابط بحدة لم يستطع تمالكها:

- بص يا حضرة الظابط.. انت لو عايز توزعني قول بالذوق.. إنما تستخف بعقلي وتقول لي الكلام الفاضي دا يبقى عيب.

- طب يا مواطن.. الكلام خلص.. وموضوعك يتحل في المحكمة.

- ماشي يا ظابط هاروح المحكمة.. بس ربنا يسامحك على التعنت اللي إنت فيه دا.

- يا ابني دي وظيفتي هنا أساسا.. اتفضل.

خرج «بلال» يجر أذيال الخيبة وشهادته الورقية.. حيث كان يعتقد أن المشكلة قد انتهت تماما بالأدلة والمستندات.. في طريقه وجد مدام عفاف على مكتبها ولدهشته لم تكن تمارس أي نشاط غذائي.. نادته فاتجه إليها ببطء:

- أنا شايفاك خارج من مكتب العقيد وحيد.. عملت إيه معاه؟

- ولا حاجة.. قال لي أروح المحكمة.. رغم إني جبت شهادة تثبت إن «جلال» هو «بلال» بس برضه مش عايز يقبلها.

- شهادة إيه؟

أخرج لها «بلال» الشهادة الورقية وجميع المستندات.. نظرت فيها مليا ولأول مرة بدا عليها الاقتناع بقضيته فقالت له:

- أنا كنت فاكراك بتحاول تحرم أخوك من ورث أو حاجة.. بس كده أنا اقتنعت بكلامك.

- طيب الحمد لله.

- ها أقول لك على حاجة.. فيه لجنة أحوال مدنية في الزيتون.. روح هناك واعرض مشكلتك.

- واللجنة دي بتنجز ولا هاتأخرني سنين برضه؟

- لأ دي لجنة بتنعقد مرة كل شهر وبتطلع قرار قضائي ملزم وواجب التنفيذ.. جرب وروح.

- وفين الزيتون دي أصلا؟

- روح واسأل بقى.. أديني دليتك وأنت حر.

اتجه «بلال» إلى منطقة الزيتون ليسأل على الأحوال المدنية الموجودة بها.. وبعد سؤال من يعرف ومن لا يعرف وصل أخيرا إلى المبنى الرمادي الكئيب في شارع أضيق من خُلق أمناء الشرطة في إشارة مرور مزدحمة.. على باب المبنى سأل عن الشئون القانونية فدلّوه على الدور الثالث.. اتجه إلى السلم وصعده وسط زحام عشرات الآلاف من البشر الزاحفين إلى السجل المدني لحل مشاكلهم مع الحكومة.. فهناك جورجيت عازر صليب المقيدة في الأحوال المدنية كمسلمة وتابعة لإحدى الطرق الصوفية، وهناك عصمت محمد حشمت التي تجاهد لإثبات أنها أنثى رغم أنها مسجلة على الكمبيوتر كذكر.. والواقع أن نظرة واحدة لعصمت تجعلنا نقترح أن يضاف تصنيف ثالث لخانة النوع ليكون هناك ذكر وأنثى ومزة.. هذا غير محمود عبدالعاطي حسن الذي يقاتل لإثبات أنه حي في حين لا تصدقه الموظفة المختصة وتصدق شاشة الكمبيوتر التي تفيد أنه قد توفي في غزوة أحد.. وعرف «بلال» أن لعنة الكمبيوتر لم تصبه وحده.. أكمل طريقه نحو مكتب الشئون القانونية ليقابل المدير الذي استمع إلى شكواه بصبر وتأن غريبين ثم قام بتوجيهه:

- بص يا بيه.. موضوعك دا مع الأستاذ أحمد السيد* هو اللي هايحل لك القصة كلها.

---

*الاسم حقيقي.

- أحمد السيد دا ألاقيه فين؟

- المكتب اللي جاي يمين في يمين ورا الأرشيف.

وصل «بلال» إلى المكتب المنشود فوجده يغص بالسيدات البدينات كعادة أي مصلحة حكومية، لم يكن صعبا عليه تمييز الأستاذ أحمد من وسطهن فهو الرجل الوحيد في المكتب.

- صباح الخير.

- صباح النور.

- نعم؟!!

- إيه يا أستاذ.. بقولك صباح النور.. أؤمر.

- أصل أول مرة حد يرد عليا الصباح.. أنا اتفاءلت بوشك الحلو.

- خير يا بيه.. إيه الموضوع.

قص عليه «بلال» قصته من أولها لآخرها واستمع إليه أحمد السيد بمنتهى الاهتمام وسط رشفات من كوب شاي ثقيل ثم هز رأسه متفهما وقال:

- بص.. الحل إنك تخلصها إداري.

- إزاي؟

- هتاخد جواب تحريات من المباحث للقسم اللي إنت تابع ليه.. يجيبولنا تحريات إن مفيش «جلال» وإن الوحيد المقيد في الدايرة اسمه «بلال».. دي الخطوة الأولى.

- طب وبعد كده؟

- نخلص دي الأول وبعدين نشوف.

- طيب آخد جواب التحريات منين؟

- من ضابط المباحث في الدور اللي تحت.

- شكرا يا أستاذ أحمد.

نزل «بلال» مسرعا إلى ضابط المباحث بعد أن ظهرت بارقة أمل جديدة.. طرق الباب ليسمع بعض الهمهمات وسط نوبة من السعال الشديد فقرر أنها تعني السماح بالدخول ودلف إلى المكتب ليجد ضابط المباحث يسعل وكأنه سيلفظ روحه، فهرع إليه مسرعا ليربت على كتفيه فازداد احتقان وجه الضابط.. وأخذ يسعل في قوة أكبر فأخذ «بلال» يبسمل ويحوقل حوله:

- بسم الله الرحمن الرحيم.. عين وصابتك يا حضرة الظابط.. من شر حاسد إذا حسد.

فقط ليحمر وجه الضابط كثمرة الكريز -غير أنه من الصعب تشبيه وجه ضابط شرطة بالكريز- فناوله «بلال» كوبا من الماء كان موضوعا على المكتب ليشيح الضابط بيده فينكسر الكوب وينسكب الماء على المكتب، ويواصل الضابط السعال وكأنه في مسابقة أوليمبية لأطول سعلة في التاريخ حتى خشي «بلال» على الضابط أن يفقد حياته جراء السعال المتواصل فوقف خلفه وناوله خبطتين بقبضة يده في منتصف ظهره تماما فهدأ السعال فورا واستعاد الضابط رويته وهدوءه فقط لجزء من خمسة ملايين جزء من الثانية قبل أن يصرخ في وجه «بلال»:

- أنت مين، ودخلت هنا إزاي، وإيه اللي انت عملته دا؟!

- أنا يا فندم كنت عايز آآ...

- كنت عايز تموتني.. بتسقيني ميه وأنا باكح.. أنا إيش

عرفني الميه دي فيها سم هاري ولا بلا أزرق؟

- يا فندم الميه دي كانت على المكتب مجبتهاش من بيتنا.

تابع الضابط كأن لم يسمعه:

- ولما مانفعتش حكاية المية المسمومة كسرت الكوباية عشان تعورني بالقزاز المكسور.

- يا باشا أعورك إيه بس.. دا أنا اللي أنقذتك من الكحة لما خبطتك على ضهرك.

- أهو دا يعتبر اعتداء على موظف أثناء تأدية عمله.. دي لوحدها تحبسك مؤبد ست أشهر. أنت مين زقك عليا يالا؟ أبو دومة ولا أبو شومة ولا البت سعاد بتاعت ألسن؟

- هو أنت عايز تحبسني وخلاص.. طيب ما اعترف لك إن أنا اللي عامل للأرض احتباس حراري ونخلص.

- لا أنت عايزني ألفق لك تهمة زور.. أعوذ بالله.

- محدش هايعرف إنها زور.. لفق يا باشا خليني أخلص من القرف اللي أنا فيه.

- لا، يا خفيف مفقوسة طبعا إنها تلفيقة.. لأني لسه قابض عالواد بتاع الاحتباس الحراري الأسبوع اللي فات.. واعترف.

- أنا بقى شريكه.

- أنت إيه حكايتك؟ عايز تتحبس ليه.. وراك إيه يلا؟

شعر «بلال» أنه شهرزاد يقص قصة ألف ليلة وليلة وهو يعيد قصته على ضابط المباحث الذي طالع الأوراق بكل اهتمام وسط دخان سيجارته الكثيف ثم قال:

- طبعا في «جلال».. الحِسّ الأمني بيقول لي كده.

- طبعا يا باشا.. أُمّال مفيش.. أنا عايزك بقى تطلب تحريات القسم اللي أنا تابع له عشان تثبت إن في «جلال» وإن أنا مزور واتحبس بقى وآخد جزائي.

- آه.. إذا كان كده عنيا الاتنين.. دا أنا هاخرب بيتك.

- يبقى كتر خيرك.

- والتحريات هاتجي لي وهاتتسجن.

- الحبس للجدعان يا باشا.

- وأهو طالما مفيش احتباس حراري يبقى أي احتباس وخلاص.. هاتتحبس يالا.

- طيب بس حضرتك خلص لي الجواب على طول عشان ماتأخرش على الحبس.

- من عنيا.

أخذ ضابط المباحث يكتب خطابا مفصلا للتحريات بقسم الشرطة التابع له سكن «بلال» وأمعن في ذكر التفاصيل اعتقادا منه أنه يلف الكلابشات حول معصمي «بلال».. ثم سلم له الخطاب ممهورا بتوقيعه.

- اختمه بقى من الصول بره واطلع على القسم بتاعك على طول.

- شكرا يا فندم.. ربنا ما يحرمك من الافترا أبدا.

- على إيه بس.. يا بخت من قِدِر وقِسِي.

انصرف «بلال» من مكتب الضابط حامدا ربه على نعمة الخطاب، وأخذ يبحث عن الصول الذي سوف يختم الخطاب حتى وجده فقدم إليه الخطاب.. نظر إليه الصول

نظـرة خاويـة متسـائلا:

- نعم؟

- ختم.

- مفيش.

- يعني إيه مفيش.. ما الضابط مضى وقال لي فاضل الختم.

- الكلام دا كان من خمس دقايق.

- وإيـه الـلي حصـل في الخمـس دقايـق.. صلاحيـة الإمضـاء خلصـت.. الجـواب جِمِـض؟!

- لا يا خفيف.. ساعات العمل الرسمية انتهت.

- يعنـي إيـه.. الختـم روح؟ راح يجيـب الأختـام الصغـيرة مـن الحضانـة.. مـا الختـم موجـود وحضرتـك موجـود.

- دا صحيـح.. بـس انـت عايـزني أختـم لـك بعـد السـاعة تلاتـة.. دي مسـئولية.

- معلـش الختـم مـش هايشـتكي والمصحـف إنـك شـغلته بعـد سـاعات العمـل الرسـمية.

- ماقدرش.. أروح في داهية.. وانت مايرضيكش.

- يعنـي انـت يرضيـك أرجـع المشـوار دا كلـه عشـان أختـم الورقـة.

- القانـون كـده يـا أسـتاذ.. وبعديـن تزعلـوا إن القانـون مـش بيتطبـق.

- لا، ونعـم القانـون.. نظـر بـلال حولـه وقـال بلهجـة ذات مغـزي: طيـب لـو عايزيـن نطبـق القانـون دا دلوقتـي ونحطـه في جيبنـا ونختـم الجـواب وأنـا عنيـا ليـك.. نعمـل ايـه؟

- أهو كده فتح عينك تاكل ملبن.. فين الجواب؟

أخرج له «بلال» الخطاب بلهفة ووضعه أمامه، أخرج الصول الختم من علبة بولوبيف صدأة ومهر الخطاب بالختم في إمعان.

- اتفضل يا سيدي آدي الختم.

- وكده القانون مايزعلش.

- لا طبعا أنا مخالفتش القانون.. أنا ختمته لك في أوقات العمل الرسمية.

- إزاي بقى الساعة تلاتة وربع!

- الساعة اتنين وربع يا حضرة.

- إزاي بس؟

- بالتوقيت الشتوي.. كله بالقانون.

- واحنا فين والشتا فين دا احنا في يوليو.

- يا بيه انت مش حاسس بالبرد ولا إيه.. دا الجو برد ولا ديسمبر.. بررررررررر.

أخذ الصول يمثل أنه يعاني من البرد وهو يمد يده لـ «بلال» بطريقة ذات مغزى.. فقال بلال:

- آآآه.. فهمت.. معلش أصلي نسيت المحفظة في جيب البالطو في العربية هنزل أجيبها واجي.

حاول الصول أن يأخذ الخطاب من يد «بلال» قائلا بخبث:

- طيب سيب الجواب هنا لا يتبل من المطرة.

جذب «بلال» الخطاب ناحيته بسرعة هاتفا:

- متخافش معايا شمسية.

انطلق «بلال» خارجا من مكتب الأحوال المدنية طائرا نحو القسم التابع له، قاطعا المسافة حتى القسم في سرعة البرق -لو أن البرق يتعطل بسبب الإشارات أو بسبب أن برقا آخر يقف صفا ثانيا-، وما أن وصل إلى بوابة القسم حتى وجدها مغلقة ووجد أمامها أحد الجنود فسأله:

- هو القسم قافل ولا إيه؟

- مغلق للتحسينات.

- إيه دا.. هايحسنوا معاملتهم مع المواطنين؟

- مواطنين مين يا حضرة.. هايحسنوا الدهانات في مكتب المأمور وضابط المباحث والسيراميك في الحمامات بتاعتهم.

- آه.. اللهم قوي سيراميكهم.. طيب واللي عايز يقابل ظابط المباحث يعمل إيه؟

- ادخل يا بيه.. هتلاقيه جوة بس حاسب من التراب والعفرة.

دلف «بلال» إلى القسم باحثا عن ضابط المباحث ليجد مئات العمال الذين يعملون بمنتهى الجدية والسرعة وسط أكوام من الركام والتراب والرمال.. ووجد المأمور واقفا وسطهم صارخا فيهم:

- القسم عايز أستلمه بكرة سوبر لوكس.. على المفتاح.

قال أحد العمال ساخطا:

- يا باشا دا بنك التعمير والإسكان بيسلم بعد ٣ سنين.

انفجر فيه المأمور:

- اخـرس.. لمـا اقـول بكـرة الصبـح يبقـى بكـرة الصبـح.. خـدوه عالحجـز.

- الحجز لسه ماتشطبش.

- لا احنـا عندنـا هـو الحجـز كـده.. ½ تشـطيب وبيفضـل كـده إذا كان عاجبـك.. خـده يـا عسـكري.

ظهـر عسـكري فجـأة وجـر العامـل المسـكين عـلى الحجـز، وهنـا لاحـظ المأمـور وجـود «بـلال» فبـادره:

- أنت جيت؟

- أنا؟

- أيوة إنت.. كنت فين؟

- لسه جاي من الزيتون حضرتك.

- جبت الحاجة؟

أخرج «بلال» الأوراق مشيرا بها للمأمور:

- أيوة يا فندم جبت كل حاجة.

- كل حاجة إيه؟ مش شايف جبس في إيدك يعني؟

تحسس «بلال» جسده قائلا:

- لا ربنـا ميجيبـش جبـس ولا حاجـة.. أنـا دراعـي سـليم الحمـد لله.

- وهاتعمل الشغل ازاي من غير جبس؟

- لا، حضرتـك الموضـوع مـش محتـاج عنـف.. لمـا أقابـل رئيـس المباحـث هاقـول لـه عـلى المطلـوب وهـو إن شـاء الله يعملـه.

- رئيس المباحث هو اللي هايعمل الشغل؟

- أيوة يا فندم.

- بنفسه!

- أيـوة يـا فنـدم.. لـو عايـز حـد مـن العسـاكر ولا الأمنـاء يسـاعدوه براحتـه.

- وسيادتك هاتعمل ايه؟

- هاستنى لما يخلصوا واستلم منهم.

- تحب أجيبلك شاي وهم شغالين؟

- لا يا باشا ملوش لزوم.

هنا احمر وجه المأمور صارخا:

- قـوم فـز اشـتغل يـا حيـوان.. عايـز رئيـس المباحـث هـو الـلي يعمـل الكرانيـش هـو والأمنـاء وانـت تقعـد تتفـرج.. دا إيـه البجاحـة دي؟

- كرانيش ايه يا فندم دا أنا مش بتاع الكرا...

قاطعه المأمور:

- إنت مش بتاع شغل.. أنت مهرج ومستهتر ومهزأ.

صاح «بلال» مهدئًا إياه:

- يا باشا إهدا.. أنا كنت...

- كنـت مـزوغ.. وحيـاة أمـك مـا انـت واخـد اليوميـة.. هلاقيها منـك ولا من بتـاع السـيراميك.

- يا باشا أنا مش عامل.

- أمال أنت إيه؟ فلاح؟ تمرجي؟ انطق انت اييييييييه؟

- أنا مواطن يا فندم.

- إيــه؟ مواطــن؟ يعنــي إيــه الكلمــة دي فهمنــي.. مواطــن نوعــك إيــه؟

- نوعي إيه.. إنسان يعني.. ذكر.. إيه نوعي دي؟

- عنــدي في القســم نوعــك يعنــي جــاني ولا مجنــي عليــه.. إنــما مواطــن وإنســان وبنــي آدم الحاجــات دي معرفهــاش.. مــش عنــدي.

- حضرتــك أنــا مواطــن مجنــي عليــه وجــاي ليــا مصلحــة مــن القســم.

- وإزاي يا مواطن تقتحم القسم وهو تحت الترميم؟

- أقتحــم إيــه بــس يــا باشــا.. أنــا أصــلي عايــز ظابــط المباحــث في مسألــ...

- أنت هاتحكي لي قصة حياتك.. اتفضل من قدامي.

اتجــه «بــلال» إلى حيــث يقبــع ضابــط المباحــث في غرفــة عــلى الطــوب الأحمــر بهــا مكتــب واحــد ومــا أن رآه حتــى هتــف:

- إنت جيت.. بقى لي ساعة مستنيك.

- الباشا المأمور بس كان فاكرني بتاع الكرانيش.

- هههههــه.. يعنــي الجــواب بيبــان مــن عنوانــه.. شــكلك بايــن قــوي إنــك مــش بتــاع كرانيــش.

- ربنا يكرمك يا فندم.

أشار الضابط إلى جهاز كمبيوتر أمامه:

- بــص بقــى.. الشاشــة بتاعــت الكمبيوتــر دي مــش لاقطــة أي حاجــة وعــلى طــول ســودا زي مــا أنــت شــايف.

أيقــن «بــلال» أن الضابــط يظنــه مهنــدس كمبيوتــر.. لا بــأس..

نظر سريعا ليجد الكابل الخاص بكهرباء الشاشة غير متصل بمصدر كهرباء، أخذ يعبث في أزرار الشاشة ثم قام بتوصيل الكهرباء فأضاءت.

- الله ينور عليك يا باشمهندس.

- دي حاجة بسيطة يا فندم.. أنا كان ليا عند حضرتك طلب.

- خير؟

قص عليه «بلال» القصة من البداية إلى النهاية.. فكر ضابط المباحث قليلا ثم قال:

- من عنيا.. تجيلي بكرة الصبح يكون شيخ الحارة موجود ويعملهالك.

- شيخ الحارة.. حارة إيه يا فندم؟ أنا ساكن هنا في مدينة نصر.

- أيوة عارف.. هو اسمه كده.

- شيخ الحارة؟ في القرن الـ ٢١.

- وفي القرن الـ ٥١ شيخ الحارة هايفضل موجود..النظام نظام.. اتفضل يا أستاذ.

في المساء وعلى المقهى كالمعتاد كان «بلال» يحكي لـ «عادل» آخر أخبار موضوع أخيه المزعوم.

- هو قال لك كده.. شيخ الحارة!

- أيوة والله.

- كده يا باشا فيلم التوت والنبوت.. بكرة تروح القسم لابس لاسة وجلابية وأنا هاجيبلك نبوت من واحد صاحبي

في فرقة الفنون الشعبية.

- يا عم أنت بتهزر.

- يعني كلامي أنا هزار.. وشيخ الحارة دا بجد؟

- آه والله بجد.

- لا أنا هاجي معاك بكرة أشوف شيخ الحارة دا وأتصور معاه سيلفي.

في صباح اليوم التالي اتجه الصديقان إلى قسم الشرطة وبادرا بالسؤال عن شيخ الحارة فأشار العسكري إلى شخص ذي شارب يرتدي جاكت جلد ويضع نظارة شمسية رخيصة الصنع.. بدا من هيئته أنه أمين شرطة كما هو مذكور بالضبط في كتاب «كيف تكون أمين الشرطة»، كان الرجل يحتسي كوبا من الشاي مع سيجارة تحت أشعة الشمس مستمتعا بما يفعله وكأنه على شيزلونج في هاسيايندا.. قال العسكري:

- الأمين علي.

- لا، حضرتك دا أمين شرطة إحنا عايزين شيخ الحارة.

- ما هو الأمين علي هو شيخ الحارة.

- شيخ إيه يا عم؟ في شيخ بيلبس جاكت جلد وجينز؟

- هو الأمين علي ومتوجعوش دماغي.

اتجه الصديقان نحو الشخص بتردد وألقيا التحية عليه:

- صباح الخير.

نفث الأمين دخانه نحوهما بصمت ولم يجب.

- حضرتك الحاج شيخ الحارة؟

أجاب دون أن ينظر إليهما وهو هائم في الملكوت:

- أيوة.

- معلش هانعطل حضرتك عن السيجارة والجاكت الجلد شوية.

سألهم الأمين علي باهتمام حقيقي وهو يمسك طرفي الجاكت بيديه:

- حلو الجاكت؟

- يجنن.. تحفة.. بعد إذنك كان ليا طلب تحريات من مباحث الزيتون وكنت عايز حضرتك تشوفه.

- خير بخصوص إيه؟ سرقت حاجة؟ بتغير عنوانك؟ مقدم على بطاقة تموين؟ عليك قضية نفقة؟

- لا والله ولا حاجة من دول.. أنا بس عايز حضرتك تتحرى إن مفيش حد اسمه «جلال» وإن هو «بلال» بس اللي موجود.

- مش فاهم حاجة.

قص عليه «بلال» أسطورة (جلال وبلال والزمان) وبدا على شيخ الحارة الاهتمام الحقيقي بالأمر.

- ممم انت قلت لي الجاكت حلو؟

- تحفة يا سيادة الأمين.. في منتهى الشياكة.. حضرتك عرفت الموضوع؟

- أيوة.. عذاب الروتين.. عادي.. عشان يعرفوا ان الكمبيوطر والسيستِن والكلام دا مايغنيش عن البني آدم.

- دا خصوصا بقى إذا كان البني آدم دا عنده جاكت زي

بتاعــك دا.

- بجد حلو الجاكت؟

- والمصحف يهبل.

- طيـب بـص يـا سـيدي.. أنـت هاتجيـب لي وصـل كهربـاء مـن العنـوان المثبـت في بطاقـة الرقـم القومـي، وهاتصـور لي الرقـم القومـي بتـاع الوالـد والوالـدة.. والرقـم القومـي بتـاع اتنـين شـهود مـن جيرانكـم.

- عنيا الاتنين.. نص ساعة ويبقوا عندك.

طـار «بـلال» و«عـادل» تجـاه محـل إقامتـه ليأتيـا بالمطلـوب وعـادا ليجـدا أمـين / شـيخ حـارة الشرطـة جالسـا في مكتبـه الصغـير الـذي لا يتسـع للمكتـب والأمـين معـا إلا بمعجـزة شرطيـة، وقـد خلـع الجاكـت وعلقـه عـلى مسـمار في الحائـط.

- سيادة الأمين.. آدي صور البطايق والمطلوب كله.

أخذ الأمين يراجع الأوراق ثم مط شفتيه في امتعاض:

- لا أنا عايز صورة بطايق الوالد والوالدة في صفحة واحدة.

- مهو حضرتك مقلتش.

- لا قلت بس انت إللى كنت مركز في الجاكت ومسمعتنيش.

- حاضر يا سيدي.

عـاد «بـلال» ليصـور البطاقـات بالشـكل المطلـوب ثـم رجـع للأمـين فوجـده يتحـدث في التليفـون.

- أيـوة يـا باشـا.. تمـام يـا باشـا.. لا حضرتـك اسـتنى هاكتـب ورا سـعادتك.. أيـوة..

أخـرج الأمـين ورقـة وقلـما وأخـذ يكتـب وراء محدثـه أكثـر

مـن ١٠ صفحـات، اسـتغرقت مـا يقـرب مـن سـاعة كاملـة، حتـى اقتربـت المكالمـة مـن نهايتهـا.

- أوامر يا باشا.. أوامر.. في رعاية الله.

ثم انتبه إلى «بلال» الذي بدا عليه فراغ الصبر.

- معلـش دا الباشـا الكبـير بتاعنـا.. هـا.. حلـو الجاكـت؟.. آآآ.. قصـدي عملـت الـورق؟.

رد «بلال» بغيظ مقدما له الأوراق:

- أيوة.. اتفضل.

نظر الأمين للأوراق بعدم رضا وقال ناهرا:

- مـين بـس الـلي قـال لـك تعمـل كـده.. أنـا عايزهـم صحيـح في صفحـة واحـدة بـس فـوق بعـض مـش جنـب بعـض.

- وهاتفرق إيه بس يا سيدنا الشيخ ما هيّ هيّ.

- لا مـش هـيّ هـيّ.. ومـش هاتعرفنـي شـغلي.. اتفضـل بقـى اعمـل الـلي طلبتـه لحـد مـا اطلـع للباشـا وأنـزل.

ظـل «بـلال» في زيـارات مكوكيـة بـين المنـزل ومكتـب شـيخ الحـارة أبـو جاكـت نايلـون حتـى انتهـى مـن كل الطلبـات الغريبة التـي طلبهـا الشـيخ والتـي تضمنـت إقـرارات مكتوبـة مـن والـده ووالدتـه بعـدم وجـود ابـن يدعـي «جـلال»، واسـتمارات تعـارف للشـهود، وفيـش وتشـبيه حتـى خيـل لـه أنـه سـيطلب منـه صـورا فوتوغرافيـة بزاويـة ٤٥ في ضـوء القمـر ماسـكا قيثـارة.

- تمـام كـده.. الـورق جاهـز.. سـيبني بقـى أعمـل تحريـاتي وعـدي عليـا كـمان أسـبوع.

- كتير أسبوع مش ممكن يبقى أقل.

- مش ممكن.. دي إجراءات يا أستاذ.

- معلش والله أصلي مقدم في وظيفة وهاتروح عليا.. وحياة أغلى ما عندك.. وحياة الجاكت دا ياشيخ تخلصني بسرعة.

- بس لو مكنتش حلفتني بالغالي.. خلاص.. ٣ أيام وتستلم النتيجة.

قضى «بلال» الأيام الثلاثة في ترقب شديد.. متخيلا أن كل من يقابله أو يدق بابه هو مخبر يقوم بالتحري عنه.. كانت البداية مع عامل الديليفري الذي دق جرس الباب فهرع «بلال» ليفتح، ولاحظ بعين ثاقبة أن الكاب الذي يرتديه العامل يخص شركة أطعمة أخرى غير التي ينتمي إليها العامل الذي بادره بتقديم الطعام وقال العامل وهو يناول بلال الوجبة المطلوبة:

- اتفضل يا بيه.. الحساب لو سمحت.

- لا والله معندناش حد اسمه «جلال».

- «جلال» مين يا بيه أنا عايز الحساب.

- انت عايز «جلال» ولا الحساب؟

- الحساب.

- من عنيا.. (وهتف مناديا): يا ماماااااا.. عندنا حد اسمه «جلال»؟

أتى صوت أمه من المطبخ:

- لا يابني «جلال» مين بس؟

قال «بلال» لعامل الديليفري:

- شفت.. مفيش «جلال» أهو.

- يا أستاذ مين إلى جاب سيرة «جلال» بس.. ادينى حسابي خلينى أمشي.

- بتوع السجل المدني يا سيدي.. أصل أنا كنت مقدم على قيد عائلي فلقيت.....

- يا بيه خلصني ورايا أوردرات متأخرة.. دا إيه اليوم الأغبر دا.

- ماشي يا سيدي.. مفيش «جلال».. هه.. مفيش جلاااااال.. وآدي الحساب.

نقده «بلال» الحساب وتركه ينصرف ضاربا كفا بكف في تعجب من زبائن آخر زمن، تكرر هذا الموقف مع بائع اللبن وموزع الجرائد وعامل محطة البنزين.. وكان «بلال» يفعل هذا متعمدا حتى إذا أتى المخبر الحقيقي وسأل الناس ضجوا من السؤال وأجابوا إن مفيش «جلال» في هذا الحي أساسا.

مرت الأيام الثلاثة وهرع «بلال» في صباح اليوم الرابع إلى مقر القسم ليعرف نتيجة التحريات طرق باب مكتب شيخ الحارة في وجل ثم دلف إلى المكتب ليجد أمين الشرطة منهمكا في الكتابة وراء محدثه في الهاتف، ما أن رآه حتى أشار له بالانتظار وهمّ بقول شيء إلا أن «بلال» بادره:

- كمل يا باشا حصة الإملاء بتاعتك.

همس الأمين:

- معلش دا الباشا الكبير بتاعنا.. أنت فاهم بقى.

- براحتك.

مـرت نحـو نصـف سـاعة حتـى انتهـى الأمـين مـن الكتابـة وراء الباشـا الكبـير وطلـب ورقتـي إجابـة إضافيتـين ثـم اسـتدار لبـلال:

- معلش أخرناك.

- لا ولا يهمك.. إيه الأخبار؟

- مـبروك يـا سـيدي.. كل التحريـات أثبتـت إن مفيـش «جـلال» والـلي موجـود هـو «بـلال» بـس.

- يـا فـرج الله.. طـب ماتيجـي معايـا لمـدام عفـاف تقـول لهـا الـكلام دا أبـوس إيـدك.

- مدام عفاف مين؟

- لا دا موضوع قديم كده.

- لا قديم إيه.. قل لي.. حلوة مدام عفاف دي؟

- يـا باشـا دا الجاكـت بتاعـك أحـلي منهـا.. ألا هـو فـين صحيـح مـش شـايفه في المكتـب.. هـو كويـس؟ طمنـي عليـه.

- لا سايبه في البيت النهاردة.

- انـا افتكرتـه راح يشـوف جواكـت قرايبـه.. المهـم ممكـن آخـد ورقـة بنتيجـة التحريـات.

- آه طبعـا.. بسـيطة.. حضرتـك هاتصـور بطاقـة الوالـد والوالدة وش وضهر.. و...

قاطعه «بلال»:

- وعايزهم جنب بعض ولا بالعرض ولا بالورب؟

- لالا مـش هاتفـرق المـرة دي.. وتصـور بطاقتـك وتقـدم طلـب لضابـط المباحـث وتمضيـه منـه ومـن البيـه المأمـور، وتيجـي تاخـد

الورقة وتختمها وخلاص.

- بسيطة فعلا!

اتبع «بلال» تعليمات شيخ الحارة بدقة حتى انتهت واستلم الورقة ممهورة بشعار الجمهورية.. النسر الأزرق الفخيم ضاما جناحيه ومطأطئا رأسه في رفق وكأنه يرثي لحال المواطن الذي تعذب عذابا يفوق عذاب كفار قريش للمسلمين الأوائل من أجل الحصول عليه..

غادر «بلال» القسم وطار نحو مصلحة الأحوال المدنية بالزيتون واتجه مباشرة نحو مكتب الأستاذ أحمد السيد فلم يجده على مكتبه.. بل ولم يجد مكتبه.. كانت الطرقات خالية تماما من الموظفين والمواطنين والعساكر.. خواء وكأنه في خزينة بطولات نادي الزمالك.. هبط للدور الأرضي ليسأل الحارس:

- هو فين موظفين السجل المدني.. اترفدوا كلهم ولا إيه؟

- لا عقبال عندك اتنقلوا الأميرية.

- عقبال عندي.. اتنقلوا!!!! وفين الأميرية دي؟

- في الأميرية.. حد ميعرفش الأميرية؟

أخذ «بلال» يسأل ويأخذ الوصفات للطريق من كل المارة حتى نجح –بمعجزة إلهية– من الوصول للمبنى الجديد للأحوال المدنية.. سأل عن الشئون القانونية وسره أن رأى وجه الأستاذ أحمد السيد فانطلق نحوه كطفل يجري نحو والدته بعد انتهاء اليوم الدراسي.. في حين أن الموظف المذكور لم يبد عليه أنه يذكر موضوعه أو يذكره من الأساس.. إلا أن بضع كلمات نجحت في إنعاش ذاكرته سريعا:

- ها.. خلصت التحريات؟

- الحمد لله.. آدي ورقة رسمية مختومة بختم حضرة النسر شخصيا وبتقول إن مفيش حد اسمه جلال.

- عظيم.. هايل.. هاتنزل تجيب نموذج ٧٤ وتكتب الطلب وتحط الدمغة وترفق كل الأوراق الخاصة بالقضية.. وتجي لي على طول.

ظل «بلال» يسعى بين صفا الدور الخامس ومروة الدور الأرضي سبعة عشر شوطا بحثا عن الاستمارة تارة وعن الموظف الذي ذهب للوضوء لصلاة الظهر قبل الصلاة بساعتين تارة، وعن العاملة التي تحتكر بيع طوابع الدمغة بالمصلحة رغم قانون منع الاحتكار، والبحث عن فكة، والبحث عن عامل الخزانة الذي ذهب لتناول الإفطار على عربة الفول المتاخمة للمصلحة.. في كل هذه المراحل تذكر «بلال» فيلم «الإرهاب والكباب» وأشار لنفسه أنه لا يوجد إرهاب أكثر من التسيب في المصالح الحكومية.. وأتبع هذا التفكير بالدعاء للدولة ونظامها القائم بكل الخير لحرصهم على التأكد من خدمة المواطنين خدمة متميزة وهي خدمة «التكفير عن الذنوب»، التي قد يتم اختصارها أحيانا إلى خدمة «التكفير» فقط من فرط الروتين والإهمال واللامبالاة.. ولأن لكل شيء نهاية فقد أنهى «بلال» الإجراءات أخيرا بعد عدة مداولات ومناقشات جدلية كانت أهمها مع موظفة بيع الاستمارات والتي كان لديها مشكلة عقائدية مع فيثاغورس، حيث يؤمن فيثاغورس أن ٢ + ٢ = ٤ في حين تؤمن الموظفة أنه إذا كان ثمن الاستمارة ٢ جنيه فثمن الاستمارتين هو خمسة جنيهات.. وبرهنت على ذلك بالدليل الفعلي إذ امتنعت عن

رد الجنيه الخامس لبلال لتثبت نظريتها بشكل علمي ممنهج.. ففي حين يمكن إثبات النظريات العلمية بالمقارنة أو بالمنطق أو بالاستدلال أو بالاستبعاد أو بالاستنباط.. اتبعت الموظفة منهجا جديدا في إثبات نظريتها وهو الإثبات بالاستعباط.

المهم حين عاد «بلال» للأستاذ أحمد السيد كان يتصبب غضبا وعرقا وإحباطا.. فما كان من الأستاذ أحمد إلا أنه رثى لحاله ودعاه للجلوس بل وطلب له شايا كي يهدئه قليلا، ثم أخذ منه الأوراق كافة ودعاه للحضور للمصلحة بعد أربعة أيام في تمام السابعة صباحا للذهاب إلى لجنة الأحوال المدنية في محكمة زينهم.

عاد «بلال» لبيته منهكا مرهقا خائر القوى محطم الأعصاب ليجد مظروفا أصفر كئيب اللون والمنظر ينتظره على السفرة.. أمسكه «بلال» بحذر بين السبابة والإبهام وكأنه يمسك فأرا من ذيله وهو يسأل والدته:

- إيه دا يا ماما؟

- مش عارفة.. دا جواب جالك الصبح.

- ربنا يستر.

فض «بلال» المظروف ليجد أسوأ كوابيسه يتحقق أمامه.. فهناك وداخل المظروف كان يقبع استدعاء للتجنيد.

- تخيل يا «عادل».. أنا.. بعد دا كله يجي لي استدعاء للجيش.. أقول لهم أنا وحيد.. يقولوا لي لأ فيه «جلال».. أقول لهم مفيش «جلال».. يقولوا لي لأ فيه.. أقول لهم طب خدوه هو.. يقولوا لي ما إحنا مش عارفين نجيبه هاته أنت واحنا ندخله مكانك.. أقولهم وأجيبه إزاي وهو مش موجود

أصلا.. يقولوا لي خلاص تدخل إنت الجيش لحد ما يظهر.. أدخل الجيش إزاي وأنا وحيد.. يقولوا لي مالناش فيه الورق بيقول إن لك أخ.. توأم.. «جلال».. الله يحرق «جلال» وسنين «جلال».

- كده يا معلم دا فيلم عبود على الحدود.. وهاتروح الصاعقة وتقابل غادة عادل.. أمانة تبقى تسلم لي عليها والنبي يا «بلال».

- يا عم أنا ناقصك.. شوف لي حل.

- الحل بكرة بقى مع اللجنة إن شاء الله تنصفك.

اتجه «بلال» إلى مقر المصلحة في الأميرية في تمام السابعة صباحا متوقعا أن يتأخر الأستاذ أحمد عن موعده.. فلا يوجد في القاهرة الكبرى كلها موظف يبدأ عمله في السابعة.. إلا أن ظنه قد خاب حين وجد الأستاذ أحمد يخرج من باب المصلحة حاملا عددا كبيرا من الملفات ودلف إلى سيارة «بلال» واضعا الملفات على الكنبة الخلفية.

- صباح الخير يا أستاذ أحمد.. دا إيه الملفات دي كلها؟

- مشاكل.. ناس ليها مشاكل زي حضرتك كده.

- استعنا على الشقاء بالله.

اتجه «بلال» إلى منطقة زينهم وأخذ الأستاذ أحمد الملفات واتجه إلى المحكمة وغاب نحو ساعة من الزمن أو يزيد ثم عاد حاملا نفس الملفات وعلى وجهه ابتسامة رضا.

- خير يا أستاذ أحمد.. طمني.

- خير إن شاء الله.. اطلع على الأميرية بقى.

عـاد «بـلال» إلى الأميريـة والأسـتاذ أحمـد منهمـك في عـدة أحاديـث تليفونيـة فلـم تسـنح لـه الفرصـة ليسـأله عـما تـم.. حـين وصـلا إلى مقـر المصلحـة اتبعـه «بـلال» إلى مكتبـه فأخـرج لـه الأسـتاذ أحمـد ملـف قضيتـه.

- مـبروك يـا أسـتاذ «بـلال».. القـاضي وافـق ودا قـرار موجـه للأحـوال المدنيـة بإلغـاء «جـلال» مـن الكمبيوتـر.

نظـر «بـلال» إلى الورقـة ذاهـلا غـير مصـدق لانتهـاء هـذا الكابـوس الـذي جثـم عـلى أنفاسـه طـوال الفـترة الماضيـة.

- يعني كده....

- كـده خـلاص حضرتـك تطلـع عـلى السـجل المـدني هايشـيلوا الاسـم وتسـتلم قيـد العائلـة مفيهـوش جـلال.

- ربنـا يخليـك يـا أسـتاذ أحمـد ويكرمـك.. طيـب أي خدمـة منـي.. مـش عايـز أي حاجـة؟

- سلامتك يا أستاذ.. أنا معملتش غير شغلي.

- يـاااااه يـا اسـتاذ أحمـد.. لـو كل النـاس تبقـي زيـك.. وخصوصـا مـدام عفـاف.

- مين مدام عفاف؟

- لا متاخـدش في بالـك.. أنـا هافضـل أدعـي لـك عـلى الـلي انـت عملتـه معايـا دا.

بالفعـل توجـه «بـلال» بقـرار القـاضي نحـو مصلحـة الأحوال المدنيـة بالعباسـية ولـوّح بـه لمديـر الشـئون القانونيـة الـذي أسـقط في يـده وظهـرت عليـه خيبـة الأمـل الشـديدة بحـل مشـكلة أحـد المواطنـين وقـال في يـأس:

- أنـا –للأسـف– مضطـر أحـترم أحـكام القضـاء.. مـع إني مـش مقتنـع.. ولا مصـدق.. بـس أعمـل إيـه؟

- حضرتك تنفذ الحكم وتشيل «جلال» من الكمبيوتر.

- للأسف مش من عندي.

- أمّال عند مين؟

- إنت لسه ماحفظتش؟ عند مدام عفاف.

اتجـه «بـلال» لمـدام عفـاف مشـفوعا بتعليـمات المديـر والحكـم القضائـي، فتسـلمت منـه الحكـم القضائـي ثـم قالـت:

- أنـا هاعمـل لـك الإجـراءات.. بـس الـلي معاهـا الباسـوورد بتاعـت الكمبيوتـر هـي مـدام منـى.

- وهي فين مدام منى؟

- مـش اتحرقـت! حلـة الشـوربة وقعـت عـلى رجلهـا واتحرقـت بعيـد عنـك.. وواخـدة أجـازة مـرضي.. تعـالي لهـا بعـد تـلات أسـابيع.

- نعم ياختي.. تلات أسابيع.. وفين القائم بالعمل؟

- مفيش.

- طيب كلميها خدي منها الباسوورد.

- مينفعـش تتقـال في التليفـون.. حـد كـده ولا كـده يسـمعها ويبـوظ الدنيـا.

- أيـوة صـح.. قـال يعنـي هـي مـش بايظـة.. يعنـي مصالـح النـاس تتعطـل عشـان أم رجـل مسـلوخة.

- دول تلات أسابيع بس ميجراش حاجة.

- يـا عـالم إيـه الـبرود دا.. تـلات أسـابيع دول ممكـن يفرقـوا في

مستقبل واحد.. وانتم على قلبكم مراوح؟

- اصبر يا أستاذ الدنيا مطارتش.. وبعدين الست عيانة مش بتتدلع.

- طيب إيه رأيك نروح لها البيت وناخد معانا تورتة وبأربعتاشر جنيه كيناكومب ونجيب منها الباسوورد ونرجع؟

- برضه مينفعش.

صاح «بلال» في ثورة عارمة:

- طيب بصي.. هاتي الورق.. مش عايز أشيل الاسم.. أنا هاشتكيكم في النيابة الإدارية ورئاسة الوزراء والقضاء والإعلام.. أنا مش هاسكت وهاوريكم كلكم.

تجمع حوله الموظفون يحاولون تهدئته:

- مالك بس يا أستاذ متعصب ليه؟

حكى لهم «بلال» الموضوع من أوله لآخره.

- وبتقول لي أستنى تلات أسابيع وآخر يوم للوظيفة بكرة والموافقات كلها جاهزة.. مش فاضل غير إن حد يفتح الكمبيوتر ويلغي الزفت «جلال».. وخلاص.

قال أحد الموظفين:

- متخلصيها له يا مدام عفاف ميجراش حاجة.

- معلش يا مدام عفاف خليها عليكي.

قالت عفاف في تمنع:

- يا جماعة كل واحد ليه اختصاصاته.. هي مسئولة الباسوورد..

- مسئولة الباسوورد!!

- أيوة يا أستاذ.. فيه واحدة مسئولة عن الباسوورد.. وواحدة مسئولة عن الكي بورد.. وواحدة مسئولة عن الناوس.

- اسمه الماوس.

- ما علينا.. مقدرش أتعدى على اختصاصها.

قال الموظف الذي توسط لفعل الخير:

- معلش يا مدام عفاف لما تيجي هانبقى نفهمها وهي مش هاتزعل ولا حاجة.

- مع إني مبحبش أعمل كده.. بس أمري لله.. عشان خاطركم.

قامت عفاف بالجلوس أمام الشاشة واللعب على أزرار الحاسب الآلي لعدة دقائق ثم قالت:

- مبروك يا أستاذ الموضوع خلص.

- الحمد لله.

تابعت عفاف:

- شلنا لك «بلال» خالص من السجلات.. انتهى.. من النهاردة مفيش «بلال».

صعق بلال وصرخ:

- إيه؟ الله يخرب بيتك.. الحكم بيقول تشيلي «جلال» مش «بلال».

- يوه مخدتش بالي.. معلش النظر على قدي بقى.

- طيب صلحيها بسرعة.

- ما اقدرش أصلحها لازم أمر قضائي تاني بتعديل الاسم

الـلي تـم حذفـه.. دا قانـون يـا أسـتاذ مـش أي كلام.

أمسك «بلال» برقبتها في عنف وغل.

- أنا هاوريكي القانون هايعمل إيه.

قالت بصوت مختنق:

- اعقـل يـا أسـتاذ.. الحقـوني.. هايموتنـي.. سـيبني لاوديـك في داهيـة.

- إنتـي خليتـي فيـا عقـل.. عارفـة لـو قتلتـك دلوقتـي.. مـش هايحصـل حاجـة.. لأني مبقتـش موجـود.. وانتـي كـمان مـش هاتبقـي موجـودة..

اندفـع الموظفـون لتخليـص عفـاف مـن يـد «بـلال».. ونجحوا بالفعـل في اسـتنقاذها مـن بـين يديـه قبـل أن يقـضي عليهـا، فيـما لم ينجـح «بـلال» في التخلـص مـن «جـلال» حتـى هـذه اللحظـة.

امسك حرامي.. امسكه انت*

* شكر خاص للدكتوره/ أمال إمام لدورها المحوري في هذه القصة.

* قصة –أيضًا– حقيقية.

- كـده يـا فنـدم شـحنا باقـة الخمسـة وسـبعين جنيـه.. أسـتأذنك في واحـد وتمانـين جنيـه تكلفـة الباقـة.

- عجيـب نظـام شركتكـم دا.. ماتسـموها باقـة الواحـد وتمانـين وتخلصـوا.. هـو احنـا ناقصـين لخبطـة.. المهـم الباقـة تشـتغل إمتـى؟

- حالا.. المفروض الرسالة وصلت لحضرتك يا فندم.

- مفيش حاجة جت لي.

- اتأكد حضرتك من الموبايل.

- مـا أنـا واقـف قدامـك أهـو ماسـمعتش صـوت الرسـالة.. لـو انـت سـمعتها قـل لي.

- يمكـن السـكة زحمـة يـا فنـدم.. الغايـب حجتـه معـاه.. هاهاهاهـا.

- دا أنت مرح كمان.. آدي الموبايل أهو مفيش حاجة.

تحسسـت جيبـي حيـث الموطـن الأصـلي للموبايـل وجرابـه فلـم أجـد أيـا منهـما.. أخـذت أتحسـس جيـوبي كلهـا كالملسـوع فلـم أجـده أيضـا.. نظـرت في كل مـكان في صالـة انتظـار العمـلاء بفـرع شركـة المحمـول ولكـن لم يكـن للمحمـول –ولا حتـى جرابـه– أي أثـر.

- حضرتك متأكد إنه كان معاك لما دخلت؟

- أمـال يعنـي جـاي أشـحن باقـة الموبايـل وهـو مـش معايـا يـا أذكـى إخواتـك.

- طب حاول تتصل بيه كده.

- أتصل بيه إزاي يا عم العبقري!

- هو حضرتك مش حافظ الرقم؟

- لأ حافظه.. بس فين الموبايل اللي هاتكلم منه.. ولا أكلمه بالتخاطر؟

- والله لو حضرتك مشترك في خدمة التخاطر ممكن تستخدمها.

- لا انت مرح وأهبل كمان.

- ليه يا فندم الغلط دا بس.. دا جزائي إني بحاول أساعد حضرتك.

- أنا متأكد إنه كان معايا لأني جالي مكالمة أول ما جيت و....

هنا تذكرت في فلاش باك كما يحدث في السينما..

- أنا حطيت الموبايل جنبي على الكنبة وأنا منتظر دوري.. ولما جه دوري الظاهر إني سيبته وجيت على الشباك.

ذهبت لمكان الانتظار حيث كنت أجلس ولكن طبعا الموبايل كان قد تبخر.

- معلش يا فندم بقى عوضك على الله.

- عوضي على الله إيه يابني هو أنا وقع مني خمسة جنيه في سوبر ماركت.. دا موبايل.

- الموبايل حضرتك سبته وحد تاني أخده.. خلاص هانعمل ايه يعني.. سلم أمرك لله.. قدر الله وما شاء فعل.

- دا ايه قوة الإيمان اللي نزلت عليك دي.. أنا معجب بصبرك على الابتلاء دا.

- حضرتك لو فكرت تجيب موبايل غيره عندنا عرض ممتاز على تليفون جديد بكاميرا.

- عروض.. أيوة عندك حق انا فعلا كنت بافكر في....

جاءتني فكرة فصرخت فيه فجأة:

- فين كاميرات المراقبة؟!

- موجودة يا فندم.

- افتح لي الكاميرات نشوف مين اللي سرق التليفون.

- يا فندم ماقدرش أفتح لحضرتك الكاميرات.

- ليه الكاميرات قاعدة من غير إسدال؟

- لا يا فندم.. بس كلمة السر بتاعت البرنامج مش معايا.

- أمال مع مين؟

- مع مدير الفرع ومش موجود دلوقتي.

تقمصت شخصية عبده المجنون وأخذت أصرخ بأعلى صوت وانا أعلم تماما أن هذه الطريقة ستؤتي ثمارها:

- أنا مش ماشي من هنا ومفيش عميل هايدخل على الشباك دا غير لما الكاميرات تتفتح.. هاقول لكل العملاء دول إني اتسرقت هنا وانكم متواطئين ومش عايزين تفتحوا الكاميرات ومتسترين على الحرامي ومسرحين حرامية في الفرع تسرق العملا وهافضحكم على فيسبوك و....

كما توقعت تكهرب الجو وتوتر الحاضرون ووجدت أحد الموظفين يبدو أنه أكبر رتبة من موظف الشباك يقترب مني ويسأل:

- خير بس يا فندم حضرتك بتزعق ليه؟

قصصت عليه الموضوع باختصار وكان أكثر تفهما للموقف فدعاني لمكتبه وعرض أن يتصل بمدير الفرع لأخذ كلمة السر منه وفتح البرنامج والاطلاع على الكاميرات على مسئوليته الشخصية فقط ليؤكد على تعاون فرع الشركة مع العميل.. ووعد أن يتم ذلك في سرعة البرق.. وقد كان.. وفي خلال أقل من خمسة وأربعين دقيقة من الاتصالات والشرح للسيد مدير الفرع تم الحصول على كلمة السر منه وفتح البرنامج –كانت هذه هي المرة الأولى التي أتعرف فيها على سرعة البرق المصري «خمسة وأربعين دقيقة» والتي يبدو أنها ترتبط بسرعة باقات الأنترنت في مصر– وكما يحدث في السينما بالضبط أخذنا نقدم ونؤخر في شريط التسجيلات حتى وصلنا للحظة الفارقة التي دخلت فيها إلى الفرع، ووضعت المحمول بجواري على الكنبة في منطقة الانتظار.. ثم.. ثم جاء الجاني وجلس بجواري.. تذكرته وقتها لأنه لا يمكن نسيانه.. رجل يبدو على ملامحه وملابسه أنه غريب عن البلد.. طويل القامة إلى حد لا يمكن تجاهله وكانت معه زوجته.. جاءا وجلسا بجواري وأذكر أنني حاولت تسلية نفسي أثناء الانتظار بتخمين جنسيته من ملابسه ولهجته.. قمت –على شريط المراقبة– واختفيت من الكادر وهنا لاحظ الرجل وجود المحمول أخذ يختلس النظر إليه كعاشق ينظر لمحبوبته.. كان يبتسم للموبايل عملا بمبدأ «نظرة فابتسامة».. ثم مد يده نحوه بتردد كعاشق ينوي اختلاس مسكة اليد الأولى.. كان في نظرته فعلا شغف وعشق للموبايل، وبالنظر لوجه زوجته أدركت أنه يفتقد الكثير من المشاعر التي صارت «تدلدق منه» نحو أي شيء حتى لو كان جهاز محمول

مسكين.. وفجأة، وفي لحظة واحدة انتقل المحمول إلى مثواه الحالي في جيبه.. والأكثر بجاحة أنه لم يغادر الفرع وإنما انتظر واتجه لشباك خدمة العملاء بعدها لينهي ما جاء من أجله ثم انصرف قبلي بكل هدوء وطمأنينة.. طبعا في هذه الأثناء حاولنا الاتصال بالتليفون عشرات المرات لنجد أنه مغلق أو غير متاح كما تقول السيدة اللطيفة صاحبة الرسالة المسجلة.. توجهت مع الموظف المتعاون إلى مسئول خدمة العملاء الذي تعامل مع اللص لنسأل عن نوع الخدمة التي قام بها.. ليتبين لنا أنه كان يريد شراء خط لكن لم تتم الخدمة لأن الرجل ليس لديه إقامة رسمية في مصر.. وهنا انقطع الخيط الذي كان يمكن أن يقودني إليه.. شكرت الموظف المتعاون وخرجت من الفرع لا ألوي على شيء*.. حتى تبادرت إلى ذهني فكرة.. هناك مركز تسوق كبير لبيع وتصليح التليفونات المحمولة بالقرب من فرع شركة الاتصالات، وحيث إن الموبايل مغلق بكلمة سر فلا بد أنه سيذهب لأحد المحلات في المول لفك شفرته أو لبيعه أساسا.. هذا هو التفكير المنطقي.. اتجهت من فوري نحو المركز الضخم وأخذت أجول فيه محلا محلا وطرقة طرقة وزنجة زنجة.. وكلما رأيت أحدا يشبه الرجل إياه دخلت إلى المحل وتفحصته بنظري كمخبر سري مفضوح

الأمر لأكتشف أنه ليس اللص المنشود فأخرج من المحل متظاهرا بأنني قد نسيت شيئا ما بالخارج.. تمثيلية مفضوحة جدا ولكن لا يهم.. استغرقت جولتي حوالي ثلاث ساعات

---

*لا أعرف بالضبط معنى هذه الجملة.. ولا أعرف أصلا كيف «يلوي» أحدهم على شيء.

حتى أنهكت تماما وبالطبع لم أعثر للرجل على أي أثر.

عدت إلى داري بخفي حنين ولكن بدون المحمول، وأنا أفكر في كل ما كان على المحمول من بيانات وتليفونات وجهات اتصال خاصة بالعمل وأشياء لا يمكن استرجاعها مرة أخرى.. حكيت الموضوع لزوجتي التي حاولت –على مائدة السحور حيث كنا في أوائل أيام شهر رمضان– أن تهون عليّ الواقعة وتقترح حلولا لاسترجاع ما راح من بيانات، لم أكن في حالة تسمح لي بالتفكير فيما قالت ولم أجد في نفسي حتى الرغبة في الأكل فلم أبتلع غير لقيمات من الفول وثلاث بيضات مسلوقات وبعض الجبن الأبيض كل هذا مغمسا بأربعة أرغفة بلدي كبيرة.. ولم أشرب الشاي فقد أصابني فقدان الموبايل بسَدِّة نِفس حقيقية.

في اليوم التالي توجهت إلى قسم الشرطة لتحرير محضر بالواقعة؛ إذ يمكن بعدها متابعة التليفون والاستدلال على من سرقه بعد أن يضع فيه شريحة أخرى كما يقول المنطق ومراجع قسم الاتصالات بكلية الهندسة، دخلت إلى القسم وتوجهت إلى أحد أمناء الشرطة المتواجدين في منطقة الاستقبال بالقسم والجالس مباشرة تحت لافتة «الشرطة والشعب في خدمة الوطن» فسألته أولا أين ذهب شعار «الشرطة في خدمة الشعب» فنظر لي نظرة فحواها: «أقول لك فين وماتزعلش».. فنفضت عن رأسي تلك الفكرة فليذهب الشعار إلى الجحيم أو إلى مارينا لا يهم.. قصصت عليه الموضوع فنظر لي نظرة ساخرة أخرى مفادها «لن تصل إلى أي شيء يا برنس»، هذا الرجل خبير في لغة العيون.. فنظرت

لـه نظـرة اسـتعطاف أن يحـرر لي محـضرا بالواقعـة، فقـال أخـيرا.. يـاه لقـد شـككت أنـه يتكلـم أساسـا:

- مـن عنيـا يـا بيـه.. سـيادتك بـس هاتجيـب لنـا ١٠ ورقـات فلوسـكاب وقلـم فرنسـاوي وورقتـين كربـون مـن المكتبـة الـلي جنـب القسـم.

- ودا ليه بقى ان شاء الله.. هو كمان القسم بقى فيه سبلايز؟

- عشـان أكتـب لـك المحـضر.. مفيـش قلـم.. هاكتـب بصباعي! ومفيـش ورق وماكينـة التصويـر عطلانـة عشـان كـده طلبنـا ورق كاربـون.. اتفضـل يـا مواطـن ماتعطلناش.

قـال كلمـة «مواطـن» كأنهـا سـبة لكنـي لم أبـال وذهبـت لـشراء مـا طلبـه وعـدت للقسـم فقـام مشـكورا بتحريـر المحـضر وأعطـاني رقمـه، فسـألته عـما يـلي ذلـك مـن خطـوات.

- المحضر هايتحول للنيابة.

- حلو.

- وكيل النيابة هايقدم طلب للنائب العام بمراقبة التليفون.

- النائب العام شخصيا؟ جميل.

- سيادة النائب العام هايأشر عليه بالحفظ.

- حفظ ليه بقى؟

- هـو النائـب العـام هايفـضى للبـلاوي المتلتلـة الـلي في البلـد ولا للسامسـونج بتاعك؟

- يعني المحضر دا كده ملوش أي لازمة.

- هاقول لك.. بس الأول عايز أسأل حضرتك سؤال.

- اتفضل.

تحسس رأسا صحراويا خاليا تماما من الشعر وقال:

- حضرتك شكلك متعلم وبتفهم في حوارات المحمول.. أنا سمعت إن في أبليكيشن بيرجع الشعر تاني باستخدام الذبذبات.. صحيح الكلام دا؟

- آه.. بس لو كان شعرك دهني هاتحتاج تسأسأ زيت نباتي أو سمنة بلدي على راسك قبل ما تشغل الأبليكيشن.

سأله أمين الشرطة بجدية:

- والزيت دا مايبوظش الموبايل؟

- لو كان موبايلك فنلندي تستخدم معاه سمنة هولندي مش هايبوظ.

- لا دا أنا موبايلي صيني.. أحط زيت ايه بقى؟

- حط أي هباب ان شاالله تحط جبنة براميلي.. هو أنا ناقص مشاكلك وقرعتك.. خلصني.. المحضر اللي عملناه دا آخرته إيه؟

قال بتشفٍ:

- صفيحة الزبالة في النيابة.. وابقى قابلني لو الموبايل رجع.

- هايرجع.. شعرك هو اللي مش هايرجع يا بتاع الذبذبات.

تركته وتوجهت إلى مكتب ضابط المباحث وانتظرت حتى انتهى من شرب قهوته وسباب أم الجندي الغلبان الذي قام بعمل القهوة ثم التفت إليّ متسائلا.. حين قصصت عليه الموضوع قال:

- شوف يا أفندي (الرتبة المدنية للمواطن العادة.. اللي هو مش ظابط ولا قاضي ولا رجل أعمال)، إحنا مشغولين دلوقتي

بمتابعة الخونة والعملاء على الفيسبوك والطويطر، ومعندناش وقت حتى نتابع الأطفال اللي بتتخطف والعربيات اللي بتتسرق يبقى أكيد مش فاضيين نتابع سرقات المحمول، ولا حتى باقي السرقات ولا أي بلاغ ولا حوادث ولا نيلة.. الله يحرق الثورجية أعداء الوطن بتوع الفيسبوك.

- كان الله في العون يا فندم.

- ماتقوليش يا فندم أنا مابحبش الألقاب.. قل لي يا باشا على طول من غير تكليف.

- وعلى كده بقى شركة الاتصالات مظبطة باقة النت بتاعت القسم ولا زي عامة الشعب؟

- دول ولاد ******.. آخر ما زهقنا جبنا واحد فني من الشركة ومتحفظين عليه في الحجز تحت، عشان لما النت يقطع يصلحه.

- أيوة كده هو دا الشغل الصح، وأهو أسرع من المكالمات لخدمة العملاء وبتاع.

- هانتابع الخونة على الفيس إزاي وإحنا النت عندنا مقطوع.. إحنا بنحل حلول جذرية يا أفندي.

- ربنا يقويكم ويقوي سرعة النت بتاعتك يا باشا.. بس بالنسبة للموبايل يعني مافيش أي أمل؟

- والله أبدا.. مش هاكدب عليك.. وبعدين يا أخي احمد ربنا انه اتسرق منك بهدوء كده من غير دوشة.. زي شكة الدبوس، مش أحسن ما كان يطلع عليك حد يثبتك وياخده منك بالعافية، ومين عارف جايز كنت قاومته وساعتها احتمال كبير كان يبقى معاه مطواة ولا سنجة ويغزك بيها،

لا قدر الله تنزف.. والإسعاف تتأخر عليك –عشان الدنيا زحمة– وتروح المستشفى متلاقيش سرير، وحالتك تتدهور –لأني نسيت أقولك إن المطواة كانت ملوثة– وتموت، وبرضه كان هاياخد الموبايل.. يبقى قضاء أخف من قضاء، احمد ربنا واحنا في الأيام المفترجة دي.

- والله على رأيك.. الحمد لله.. بس سؤال يا باشا؟

- اتفضل.

- هو حضرتك فكرت تكتب سيناريوهات قبل كده؟

- لأ، ليه؟

- أصل السيناريو اللي انت لسه قايله دا عبقري، ينفع سهرة تلفزيونية.

- مواهب يا باشمهندس بس الشغل دافنها.. عموما لو مصمم قوي يعني، ممكن تروح لشرطة الاتصالات، هم بيحبوا المواضيع اللي زي دي قوي، ودا شغلهم بصراحة مش شغلنا احنا.

شكرته على المعلومة القيمة وخرجت من مكتبه بينما كان يتناول سيرة والدة أحد المشتبه بهم بكل سوء، واتجهت فورا إلى شرطة الاتصالات، حيث إنه من المعروف عني أنني لا أترك حقي أبدا، ومبدأي في الحياة هو: ما ضاع حق وراءه مُطالب، المهم.. في شرطة الاتصالات وجدت الضابط المسئول عن متابعة مثل هذه البلاغات في إجازة، وتكلم معي أحد أمناء الشرطة أن الطريقة الوحيدة هي استدراج اللص والتعامل معه بنفسي فالطرق الرسمية لن تؤتي أي ثمار، وستضيع الوقت والجهد، شكرته على النصيحة

وخرجت لا أدري ما العمل، فالشرطة تنصح من تُسرق سيارته بالتفاوض مع السارق، ومن يُخطف ابنه بدفع الفدية للعصابة، ومن يُسرق محموله باستدراج اللص، وقد كنت أظن أن استدراج اللصوص وإعداد الكمائن والقبض عليهم هو مهمة الشرطة، يبدو أن الشرطة احترفت دور الناصح الأمين ولعب دور يا بخت من وفق راسين.. والإنجاز الوحيد الذي حققته الشرطة مؤخرا هو المركز السادس في الدوري الممتاز.

في طريق عودتي إلى المنزل تذكرت أحد الأصدقاء الذي يعمل في جهاز أمني مهم، وبالرغم من علمي أن الشرطة تعتبر السرقات عموما ليست من اختصاصها، إلا أنني قلت لن أخسر شيئا إن استشرته فيما يجب عمله، اتصلت به وحكيت له الموضوع فأكد لي أن الأمل في عودة المحمول يقارب الأمل في عودة الجنيه إلى سابق عهده أمام الدولار، إلا أنه عرض عليّ أن يرسل معي أمين شرطة إلى فرع شركة محمول ليرى السارق على كاميرات المراقبة لعله يكون من الوجوه المألوفة أو من المسجلين لديهم وحينها تصبح متابعته أمرا سهلا، اتفقنا على القيام بهذه الخطوة في اليوم التالي لترتيب الأمر، اكتفيت بهذا القدر من التعامل مع الشرطة في ذلك اليوم وتوجهت إلى المنزل للاستراحة قليلا قبل الإفطار.

في اليوم التالي صحوت مبكرا وارتديت ملابس تليق بمقام السيد أمين الشرطة الذي سوف أقابله.. فالرجل قد يمسك طرف الخيط الذي نلفه حول رقبة السارق.. اتجهت للقسم وقابلت أمين الشرطة وتوجهت بصحبته إلى مقر فرع

الشركة واتجهت لموظف خدمة العملاء الذي كان يتابع معي الأمر.

- صباح الخير، أنا صاحب المحمول اللي اتسرق هنا في الفرع.

- أهلا صباح النور يا فندم فاكر حضرتك طبعا، يا ترى لقيت محمول، ولا هاتستفيد معانا بالعرض بتاعنا على التليفون أبو كاميرا؟

- لا أنا عايزك تفتح الكاميرا تاني للأستاذ.

- مين دا؟

- اتكلم كويس الباشا أمين شرطة من القسم جاي يشوف شريط كاميرات المراقبة عشان ممكن يتعرف على الحرامي.

- أيوة بس حضرتك عارف إن كلمة السر مش معايا، مع مدير الفرع.

- وهو فين مدير الفرع؟

- مش موجود حضرتك.

- هو المدير دا مابيجيش هنا أبدا؟

- لا، بييجي بس هو دلوقتي مش هنا.

- طيب ماتكلمه تاخد منه كلمة السر زي ما عملنا يوم السرقة.

- لا حضرتك مش هاقدر، أنا عملتها لحضرتك استثناء يوم السرقة إنما طالما البوليس دخل في الموضوع يبقى لازم طلب رسمي من المأمور لمدير الفرع.

- اللي هو مش موجود.

- بالظبط كده.

- أنا هاقدم فيكم شكوى بدعوى عدم التعاون.

- أنا تحت أمرك يا فندم، وحضرتك لو حابب أنا ممكن أعملك خصم خاص على تليفون 3G بكاميرتين.

- لو مكنتش صايم كنت رديت عليك.

كل هذا وأمين الشرطة يتابع الحوار بشغف من يتابع مباراة مصارعة بتعليق ممدوح فرج، المهم باءت هذه المحاولة بالفشل وقمت بإعادة الأمين إلى القسم ثم اتصلت بخدمة العملاء لعمل شكوى ضد مدير الفرع وموظف خدمة العملاء، استغرقت المكالمة حوالي نصف ساعة من الانتظار على الخط وعدم فهم الموظفة لفحوى الشكوى ثم التحدث مع مديرها، وفي النهاية تم وعدي بحل المشكلة ومعاودة الاتصال بي.

بعد الإفطار كنت على المقهى مع أحد الأصدقاء وقصصت عليه الموضوع فقال محتدا:

- إزاي متقوليش الموضوع دا من ساعة ما حصل.

- وأنت إيه علاقتك بالقصة دي، أنت تعرف حرامي من هواة جمع التليفونات الجديدة؟

- لا، يا خفيف، أعرف حد شغال في شركة المحمول، نديله الرقم بتاع المحمول ومباركته وهو يتابعه وأول ما يشتغل على شريحة جديدة يقول لنا.

- بجد.. طيب كلمه الله يكرمك بس يا رب يوافق.

- هايوافق إن شاء الله سيب لي انت الموضوع دا وحاسب لي

عـلى السـحلب وانـا هاظبـط لـك الأداء.

شـكرت صديقـي عـلى هـذه الخدمـة الغاليـة التـي لم أكـن سـأتمكن مـن عملهـا لـولاه وأعطيتـه بيانـات التليفـون وطلبنـا سـحورا عـلى القهـوة، وطبعـا قمـت أنـا بدفـع حسـاب السـحور باعتبـار الخدمـة المسـتقبلية، وقـد كان.. فبعـد ثلاثـة أيـام وجـدت صديقـي يتصـل بي ويملينـي رقـم محمـول وعنوانـا، فهمـت منـه أنهـما خاصـان بالشريحـة التـي تـم تركيبهـا في تليفـوني حديثـا غالبـا بواسـطة اللـص أو مـن اشـتراه منـه، شـكرته بشـدة حيـث إنـه قـد أعـاد لي الأمـل مـرة أخـرى وأصبـح لـدي خيـط يمكـن أن يقـودني إلى اللـص، توجهـت بالورقـة المـدون عليهـا البيانـات إلى قسـم الشرطـة وقابلـت الضابـط إيـاه الـذي تذكـرني ورحـب بي في فتـور فبادرتـه:

- بـص يـا باشـا.. أنـا قـدرت أجيـب رقـم تليفـون وعنـوان الحرامـي الـلي سرق منـي التليفـون.

فقال باهتمام شديد وهو يسلك أذنه بمفتاح معدني:

- طيـب برافـو عليـك والله.. تحيـاتي.. يـلا كلمـه وربنـا يوفقـك معـاه.

- أكلمه.. أنا؟!

- آه أنت.. إيه مش معاك رصيد؟

- لا مسـتورة الحمـد لله.. بـس يعنـي حضراتكـم كشرطـة مـش هايكـون لكـم أي دور؟

- بـص يـا حبيبـي.. ثبتـه أنـت بـس في أي مُكنَـة وقـل لنـا وإحنـا نعمل الـلازم.

خرجت من القسم وقد تأكد لدي يقين (لن يعيد لي تليفوني أحد غيري، وما ضاع حق وراءه مطالب) فكرت كثيرا في خطة لاستدراج السارق مستعينا بتراث طويل من قصص أجاثا كريستي والمغامرون الخمسة وأدهم صبري، وعلى رائحة القهوة قمت بإعداد خطتي بكل إحكام ووضعت الخطة البديلة كما يحتم علم التخطيط البوليسي.

وكانت أول خطوة في هذه الخطة هي التأكد من الرقم الذي أعطانيه صديقي، فاتصلت به من تليفون أحد الاكشاك ليرد عليّ شخص بلهجة غير مصرية لأتأكد بنسبة كبيرة أنه هو.

الخطوة الثانية كانت التوجه نحو العنوان الذي ذكره صديقي، تحت البناية وقفت أتابع لوحة الاتصال الداخلي (الانتركم) التي يكتب عليها أسماء كل السكان لأجد اسم اللص الذي حصلت عليه من شركة الاتصالات مكتوبا أمام خانة الدور الثالث.. دق قلبي بشدة حيث إنني أصبحت على بعد خطوات قليلة من هدفي، كما أنني أثبتّ لنفسي أنني ضابط مباحث كفء ضل طريقه إلى كلية الطب، وأن عدم اختياري لكلية الشرطة فيما بعد كان من سوء حظ جهاز البوليس، لم أستطع دخول البناية لأن بابها مغلق ولا يفتح إلا بواسطة أحد السكان.. دققت جرس الاتصال الداخلي لشقة اللص كثيرا ولكن أحدا لم يرد.. انتظرت برهة حتى فتح أحد السكان باب البناية فدلفت إليها مسرعا وتوجهت للطابق الثالث، وهنا انهارت أحلامي كلها، فمنظر الباب من الخارج يوحي بأن الشقة مهجورة

منذ فترة، دققت الجرس على أمل أن يفتح لي أحدهم وهنا سأتظاهر بأنني أحد الباعة الصينيين الذين يجوبون منازل المصريين ليبيعوهم بضائع رخيصة الثمن والجودة.. صحيح أنني لم يكن معي أي بضاعة، ولم يكن معي حتى حقيبة أدعي أن بها بضائع، دعك من أن شكلي ليس صينيا على الإطلاق.. إلا أن هذا لم يشغل بالي ساعتها، المهم أنني دققت الباب كثيرا وطويلا حتى فتح الباب، لم يكن هو نفس الباب الذي أدق عليه وإنما باب أحد الجيران يسألني عمن أريد، فكرت للحظة أن ألعب دور البائع الصيني ولكن نظرة إلى البنيان القوي للرجل الذي فتح الباب جعلتني أعدل عن ذلك.. فذكرت اسم السارق وقلت أنني أريده لأمر هام.. ليعلمني الجار أن السارق قد هجر البناية منذ فترة حيث إنه لم يدفع الإيجار ولا إيصالات الكهرباء المستحقة عنها، هززت رأسي متفهما وغادرت مسرعا قبل أن يطالبني بالمبالغ المتأخرة على الرجل.. ها قد ضاع مني خيط، ولكن ما زال هناك خيوط أخرى مهمة.. أولها رقم المحمول.. وهنا كانت الخطوة الثالثة من الخطة بشراء شريحة محمول برقم جديد تماما، وبمساعدة أحد المختصين في أمور تكنولوجيا المعلومات قمنا بتسجيل الخط على مواقع إظهار رقم الطالب باسم إحدى الوكالات التي تقدم مساعدات للاجئين والفقراء.

أعطيت المحمول لزوجتي وأفهمتها دورها جيدا.. ستتكلم بإنجليزيتها الممتازة وكأنها إحدى موظفات هذه الوكالة وستقول له أنها بحاجة لبعض المعلومات حتى تستطيع أن تدرجه على كشوف المساعدات الشهرية، وقد لعبت دورها بامتياز حقيقي، واستخلصت منه كل المعلومات التي يمكن

أن تساعدنا، فعلمت أنه يدرس في إحدى الجامعات في مصر بمنحة من بلده الأصلي، ومنحها محل سكنه الجديد وكان في منطقة شعبية قريبة، ورقم جواز سفره وكل شيء، واتفقت معه زوجتي على أن يقابله أحد موظفي الوكالة –أنا– أمام محل شهير قريب من محل سكنه ليأخذ توقيعه على بعض الأوراق الرسمية ويسلمه كوبونات يأخذ بها مواد غذائية من أرز ومكرونة وجبنة رومي ومكسرات وحلويات وفوانيس رمضان وترابيزات بلياردو وبنج.. سال لعاب اللص ووافق على الفور، أرسلنا له رسالة على الموبايل بها عدة أرقام أفهمناها أنها الكود الخاص به في الوكالة وشددنا عليه أنه يجب أن تكون معه هذه الرسالة أثناء مقابلة مندوب الوكالة.. وذلك فقط حتى نتأكد من أنه سيجلب معه الموبايل معه.

توجهت مرة أخرى إلى قسم الشرطة وأنا أكاد أطير فرحا، وتوجهت إلى مكتب الضابط إيه هاتفا:

- يا باشا.. يا باشا.. ثبتهولك.

نظر لي في عدم فهم فتابعت موضحا:

- الحرامي يا باشا.. حرامي الموبايل.. ثبته وهاقابله كمان ساعة قدام محل (....).

- آآه.. افتكرتك.. بس يابني إيه المعاد دا! كمان ساعة إيه.. انت مش شايف الجو حر ازاي.. وكمان الأمناء كلهم روحوا.. ابقى ثبته بعد الفطار وتعالى لنا واحنا نعمل اللازم.

- بعد الفطار!

- آه.. ولو تكمل جميلك بقى يبقى بعد مسلسل الساعة ٩ عشان القسم هنا كله متابعه.

- من عنيا يا فندم.. في أي أوامر تانية؟

شمر ساعديه خارجا من المكتب وبدا عليه أنه ذاهب ليتوضأ وقال لي:

- لا.. روح ربنا يوفقك.

- والله يا باشا أنت بقيت بتدعي لي بالتوفيق أكتر من أمي.. كتر خيرك.

لم يرد عليّ ونادى على الجندي خارج مكتبه:

- حضر لي المصلية يابن ال ***** عشان أصلّي العصر قبل ما أروح.

خرجت مغتاظا من القسم.. فقد جاء الزمن الذي يختار فيه رجال الشرطة توقيت القبض على اللصوص.. شيء جميل.. عموما أنا كنت مستعدا لهذا أيضا.. فكان معي بعض الأوراق التي تشبه الأوراق الرسمية وذهبت بالفعل لمقابلة اللص وقد نويت إن أخرج المحمول أن «أنتشه» من يده وأجري مبتعدا وقد ظفرت بموبايلي. خطة مناسبة تعتمد على سرعتي في الركض وأنا أؤكد أنني لست أوصف بالبطء.. وقفت في المكان والموعد المحدد وجاء اللص.. عرفته من هيئته.. نفس القامة الفارعة والسحنة التي توحي أنه ليس من أهل البلد.. تبادلنا بعض الكلمات وأعطاني نسخة من جواز سفره، طلبت الاطلاع على الرسالة التي أرسلت إلى تليفونه.. مد يده في جيبه أما أنا فقد اتخذت وضع الاستعداد للركض، وهوب.. أخرج من جيبه تليفونا محمولا قديما للغاية يبدو أن خفرع شخصيا كان يستخدمه

لمتابعة بناء الهرم.. ليس هذا هو تليفوني بالطبع سألته إن كان هذا هو التليفون الوحيد الذي يملكه.. طبعا استغرب سؤالي فقلت بارتباك أن لدينا رسائل مالتي ميديا خاصة بطريقة استخدام كوبونات المواد الغذائية ويلزمها تليفون آخر حديث فقال لي أن لديه واحدا بالفعل لكنه لا يستخدمه باستمرار.. اتفقنا على لقاء آخر في نفس اليوم «بعد الإفطار» وبعد مسلسل التاسعة مساء يكون معه فيه التليفون الآخر لأريه كيف يتعامل مع الكوبونات.

في الموعد المحدد ذهبت مرة أخرى لنفس المكان وأخرج المحمول فخفق قلبي بشدة.. هو.. تليفوني الحبيب أخيرا وبعد طول انتظار.. كان قابعا في يد اللص.. لكن كف يده الكبير مثل خف الجمل كان يحول دون خطة «نتش» الموبايل والجري.. فهو يحيط بالمحمول من كل جوانبه.. لذا فقد قررت استغلال اطمئنانه لي لأستدرجه للقسم.. قلت له أن الكوبونات مع أحد الزملاء وسنذهب لإحضارها منه.. وأخذته في سيارتي وتوجهت به إلى القسم.. لحسن الحظ أن اللافتة على باب القسم لم تكن معلقة وذلك للتجديدات التي يجرونها في مدخل القسم، وأيضا جندي الحراسة لم يكن في مكانه.. لا بد أنه يتابع المسلسل.. قدته إلى إحدى الغرف في ساحة القسم وطلبت منه الانتظار ريثما أقابل زميلي وأرجع.. وطرت إلى مكتب الضابط:

- يا باشا.. يا باشا..

- إنت تاني!

- دا أنا عايز أشكرك.. ربنا استجاب دعواتك ووفقني

وجبت لك الحرامي لحد هنا.

- هنا فين؟

- هنا في القسم.

- أنت بتهرج.. دا مكان تجيب فيه حرامي؟

- إيه يا باشا هو احنا في الأوبرا.. مش دا القسم والحرامية بيتقبض عليهم هنا؟

- قصر الكلام.. عايز إيه دلوقتي؟

- والله لو سعادتك تتكرم وتقبل تقبض على الحرامي يبقى كتر خيرك يا حكومة.

- أوففف.. أمري لله..

ونادي بصوت عال:

- يا منتصر.

دخل أمين شرطة للمكتب مهرولا وبيده كيس فيه بقايا عصير سوبيا.

- الأستاذ جايب لنا فضلة خيرك حرامي موبايلات.. روح اقبض عليه وارميه في الحجز.

- حاضر سيادتك.

قدت أمين الشرطة ومعه أحد الجنود إلى الغرفة التي تركت فيها اللص فدخلا وجندلاه في ثانية واحدة وقبضا عليه ثم اقتاداه إلى الحجز وأخذا منه الموبايل وسلماه للضابط الذي قال لي بانتشاء:

- أدينا قبضنا عليه يا سيدي.. مبسوط كده.. على الله ما يكونش عندك طلبات تانية.

- ألف شكر يا فندم والله أنا تعبتكم معايا.. لو سيادتك بس تسلمني الموبايل يبقى كتر خيرك.

- موبايل إيه اللي تستلمه؟ دا حِرز.. يعني تستلمه من النيابة بكرة إن شاء الله.

- نيابة ليه بس يا باشا؟ الموبايل بتاعي والحرامي عندكم.. إديني التليفون خلليني أروح الحق السحور.

- ماينفعش.. دي قضية كاملة تعبنا فيها سهر وتحريات ومتابعة.. وزي ما احنا عملنا شغلنا النيابة كمان لازم تعمل شغلها.. وكمان يعرفوا إننا شغالين كويس وبنقبض على الحرامية.

- شغلكم! يا باشا دا أنا اللي جايب الحرامي لحد هنا.

- ومين اللي دعى لك إن ربنا يوفقك؟! إنت نسيت؟

- يا باشا أنا صاحب التليفون.. والله العظيم التليفون دا بتاعي.. إيه بس اللي ممكن يثبت لك إنه بتاعي؟

- حضن.

- نعم؟!

- آآ.. قصدي العلبة الأصلية أو فاتورة عليها السيريال نمبر بتاع التليفون.

أخرجت له الاثنتين فتفحصهما مليا ثم قال:

- خلاص أنا هاثبتهم في المحضر عشان تستلم التليفون بسهولة.. يلا بقى روح اتسحر ونام عشان عندك نيابة الصبح.

يبدو أنني ليس مكتوبا لي الخروج من القسم مجبور

الخاطـر ولـو لمـرة واحـدة.

في صبـاح اليـوم التـالي توجهـت إلى دار النيابـة وظللـت منتظـر دور القضيـة –آه مـا هـي بقـت قضيـة– لأكثـر مـن أربـع سـاعات.. هـذا وأنـا صاحـب الحـق.. وبعـد طـول انتظـار دلفـت إلى مكتـب وكيـل النيابـة الـذي سـألني عـدة أسـئلة روتينيـة ثـم سـلمني التليفـون وانصرفـت شـاعرا بالانتصـار بعـد كل هـذا المجهـود الطويـل والتخطيـط الدقيـق المحكـم.. فعـلا.. مـا ضـاع حـق وراءه مطالـب.

بعـد عـدة أسـابيع وجـدت اتصـالا مـن رقـم مختـصر رددت لأجـد أنهـا شركـة المحمـول تحقـق في الشـكوى التـي قدمتهـا في مديـر الفـرع وعـدم تعاونـه في فتـح الكاميرات.. كنـت قـد نسـيت هـذه الشـكوى تمامـا.

- صبـاح الخـير.. أنـا عفـاف مـن خدمـة العمـلاء.. حضرتـك كنـت قدمـت شـكوى بخصـوص كاميرا أو حاجـة كـده؟

- أو حاجة كده!! آه حصل وقدمت شكوى.

- احنـا حققنـا في الشـكوى ويسـعدنا نقـول لحضرتـك إن الكاميرا في الموبايـل الـلي عايـز تشـتريه ٥ ميجـا بيكسـل مـش ٣، وعشـان حضرتـك عميـل مميـز عندنـا هانعمـل لـك خصـم ٢ ميجـا بيكسـل لـو اشـتريت التليفـون النهـاردة.

- دا كده بعد ما حققتوا في الشكوى! وأنا عميل مميز.

- طبعا يا فندم.

- &٪.#@##$$#@#$$٪.٪.$@#$$#@#٪.

- سـعداء بخدمـة حضرتـك يـا فنـدم وشـكرا لاسـتخدامك شـبكة (.....).

لما كان هذا كتابي الأول بعد رحيل أستاذنا الدكتور/ أحمد خالد توفيق.. فقد رأيت إعادة نشر هذه القصة التي نشرت سابقا بناء على موافقته الكريمة لتكون أحد الشواهد العديدة على تواضع رجل بقامة د. أحمد خالد وتشجيعه المستمر للشباب.

القصة موجهة بالأساس لقراء د. أحمد خالد توفيق وخاصة سلسلة «ما وراء الطبيعة» وبطلها رفعت إسماعيل.

صحيح أن هذه القصة تخلو من مدام عفاف.. لكن أتمنى ألا تخلو من الابتسامة.

أسطورة الفتوّة
«أسطورة الشبشب»

شكر خاص للدكتور أحمد خالد توفيق الذي سمح بنشر هذه القصة واستخدام الغلبان رفعت إسماعيل في هذه الأسطورة التي بهدلته معانا كثيرا.

ندعو له بالرحمة والغفران.

مقدمة

أنا الدكتور (رفعت إسماعيل) أستاذ أمراض الدم المتقاعد الذي واجه أشباح الأرض كلها وصاحب الرقم القياسي في هدم الأساطير، ما زلت أحيا.. نعم.. حتى هذه اللحظة على الأقل متحديا جزم الأطباء بحتمية وفاتي منذ عشرة أعوام .. سذج هم هؤلاء الأطباء.. ماذا؟ أنا أيضا طبيب.. أيحسبون أن هذا يعفيهم من الوصف بالسذاجة!

ماذا أحكي لكم اليوم.. كانت لي مغامرة في عام..... لا أتذكر العام.. اعذروني إنها الذاكرة، ولكن ما علينا من تاريخها المهم أحداث المغامرة، كانت تدور في إحدى البلدان الأوروبية ربما النمسا أو بنما أو ألمانيا.. لست متأكدا بالضبط ربما تكون سويسرا أو إيطاليا أو البرازيل، ماذا.. ليست البرازيل في أوروبا... ربما كانت كذلك في وقت من الأوقات.. من يدري، إن ما نعلمه قليل جدا.. أقل مما نتخيل، هناك تساؤل شهير لـ(أرنولد شيلدون) «هل أستراليا هي أستراليا حقا.. لا أحد يدري» ، ولكن دعكم من البلد الآن، أنتم تهتمون بأمور شكلية للغاية، كانت المغامرة تدور عن.. عن.. لا تنظروا لي هكذا، الحقيقة أني لا أتذكر أي مغامرة كنت سأحكي.. أرى خيبة الأمل على وجوهكم، لا تتركوني وحدي، لقد تذكرت الآن إحدى المغامرات التي كانت في مصر ولكن.. لا لا.. لا أستطيع أن أحكي هذه المغامرة بالذات.. أرجوكم لا تضغطوا عليّ.. يا لقلبي المتعب الذي يحبكم، فليكن ولكن بشرط أن

تعـدوني أن تظـل هـذه المغامـرة سرا بينـي وبينكـم، لا يعلمـه إلا القـراء والمعجبـون والجمهـور المـصري والعـربي والعالمـي فقـط.

الآن فقـط أسـتطيع أن أحكـي مرتـاح البـال عـن أسـطورة الفتـوة.. نعـم لم تخنـك عينـاك، لكـن ليـس بالـضرورة أن يكـون هنـاك فتـوة في المغامـرة، لقـد قـال (يوجـين يونسـكو) حـين سـئل عـن سر تسـمية مسرحيتـه بـ (المغنيـة الصلعـاء) فأجـاب: «ليـس هنالـك أيـة مغنيـة في المسرحيـة لا صلعـاء ولا بشـعر، لهـذا فقـد وجـدت أن الاسـم مناسـب للغايـة»! ولكـن –ويـا للدهشـة– نعـم هنـاك فتـوة في المغامـرة، كيـف وأيـن ولمـاذا وحتـى ولعـل.. ربـما.

دعكـم مـن التسـاؤلات ودعـوني أبـدأ في الحكايـة قبـل أن أنسـى مجـددا.

«قليلون هم من يمكننا التضحية من أجلهم»

توجهت إلى مكتبي بقسم أمراض الدم بكلية طب ( ) مستعدا لسماع نتائج مفاوضات عزرائيل مع مرضاي وهل انتقلوا للعالم الآخر بعد، كان هذا حين سمعت تلك المناقشة الحادة حول من يتولى رئاسة القسم للعام القادم، ألم أقل لكم كم هم سذج هؤلاء الأطباء، ناديت أحد النواب لأسأله عن أحوال المرضى:

- كيف حال الحاج (سلامة)؟

- من الحاج سلامة؟

- مريض سرير (1).

- توفي من ساعتين.

- والآنسة (منال) سرير (2)؟

- جاءها نزيف مفاجئ ماتت على أثره.

- والطفل (عصام) سرير (3)؟

- يحتضر الآن.

- وماذا تفعلون أنتم بينما يرحل كل هؤلاء؟

- أجاب في حماس: كنا نقبض الحوافز المتأخرة منذ ثلاثة أشهر، لقد زاد مرتبي سبعين قرشا يا دكتور (رفعت).

- تبا لكم جميعا، بالمناسبة.. فلتقرأ الفاتحة لمدام (عفاف).

- من مدام (عفاف).

- مريضة سرير (4).

متى سيعرف الأطباء أن سبعين قرشا ليست مبلغا تضحي

في سبيله بحياة إنسان، طالعت إحدى المجلات الطبية ولكن لفت نظري خبر في الجريدة عن (وصول روسيات يحترفن الرقص الشرقي)، عجيب هذا المزاج.. رغم أني لا أرى في الرقص أي شيء سوى إنسان يتلوى كمريض المغص الكلوي، إلّا أنني أتساءل عن الذي يستجلب روسيات ليرقصن رقصا شرقيا، هل تمكنت منا عقدة الخواجة إلى هذه الدرجة؟ أنا لا أتخيل أن يسمع أحدهم إحداهن تغني بعربية ركيكة (هبيبي يا إيني.. يا مسهر إيني) ويستمتع بهذا العبث، ولكن من قال إن الإنسان يفهم كل شيء في الدنيا؟!

جاء أحد السعاة يحمل مظروفا ويسأل عن الدكتور (رفعت)، وأعرف أنكم لن تصدقوني ولكنني أحسست بالحب الجارف ناحية المظروف منذ رأيته، هناك شيء ما يجذبني إليه، له عبق إنجليزي رصين.. له سحر ورقة وجمال (ماجي) نعم أكيد هو من (ماجي)، ولكنه تأخر كثيرا، لقد وصلت الرسالة إلى قلبي منذ خطتها أصابعها، وقبل أن يصل المظروف إلى مصر، وقبل أن تضع هي الرسالة في المظروف أساسا، فضضت الخطاب لأقرأ:

«الأعزّ رفعت،

صدق هذا أو لا ولكني سأمر على مصر ضمن جولة لزيارة بعض بلدان الشرق الأوسط، من أجل بحث عن... لا أعتقد أنك تهتم بهذا، جل اهتمامك طبعا أني سآتي لبلدك الحبيب المشرق –برغم أنك فيه، سأصل إلى القاهرة الثلاثاء القادم، سأقيم بفندق ( ) ويمكنني أن أراك صباح الأربعاء –لو أن ليس لديك ما يشغلك، احرص على أن تظل حيا وبخير حتى ألقاك على الأقل».

ماجي

وهل يوجد ما يستطيع أن يشغلني عنك، طيلة كل هذه الأعوام ولم يفلح شيء في زعزعة مكانتك من قلبي، أرى مصر الآن تستعد لوصولك، أكيد هي ستحسن استقبالك حتى أراك.

***

الثلاثاء (الذي كان قادما):

وصول الرحلة رقم ( ) قادمة من المملكة المتحدة وعلى الركاب التوجه إلى صالة الوصول.

***

«قليلون هم من يمكننا التضحية من أجلهم»

***

الأربعاء:

لا أعرف أين (ماجي)، لقد سألت في المطار لأعرف أن الرحلة قد وصلت وأن (ماجي) كانت على متن الرحلة، ولكنها لم تصل إلى الفندق المذكور أبدا.. تبا لهذا، ماذا يعني هذا، قد تكون انشغلت في أعمالها قليلا؟ ربما.. هي لم تشأ أن تذكر طبيعة أبحاثها، لا أعتقد أن أحدهم قد تعرض لها بسوء، ولكن..... لا أعرف شيئا، ولست متأكدا من أي شيء، في مثل هذه الظروف سأصبر قليلا قبل إبلاغ الشرطة.. لا أحب كثيرا أن أظهر بصورة الأبله المدله في حب إنجليزية ولم يطق بعدها عنه بضع ساعات.

الخميس:

قررت إبلاغ الشرطة فالأمر أصبح لا يمكن السكوت عليه، لا لن أخبر (عادل) بالأمر الآن فالأمر لا يحتاج إلى

وساطة فضلا عن أنه في الإسكندرية، توجهت إلى القسم ودلفت إلى مكتب الضابط وقلت له:

- مساء الخير، أود الإبلاغ عن حالة اختطاف.

- خير.. اختطاف مرة واحدة، مين بقى اللي اتخطفت؟

- في رومانسية قلت: (ماجي).

- مين يا خويا؟

- بجدية قلت له: آآ(ماجي)..مواطنة إنجليزية وصلت يوم الثلاثاء وكان من المقرر أن تقيم بفندق ( ) ولكنها اختفت من يومها.

- وانت تعرفها منين؟

- دي صديقة.

- صديقة.. واسمها (ماجي).. وكمان إنجليزية، ومصاحباك انت بقى من وسط رجالة مصر كلها؟! ماشي ماشي ، بص يا عم الحاج.. من الآخر الفندق دا مش تبع القسم بتاعنا.

- يعني إيه؟

- يعني تروح قسم (مصر الجديدة) وهم يدوروا بقى.

توجهت بسيارتي إلى مصر الجديدة وأنا أفكر عمن قد يكون اختطف (ماجي)، تبا، وهل تهم (ماجي) شخصا آخر في العالم غيري أنا؟

دلفت إلى القسم وتوجهت للضابط.

- أريد الإبلاغ عن اختطاف مواطنة بريطانية.

- يادي الليلة السودة، يا عم اهدا كده ومتقولش الكلام الكبير ده، اختطاف إيه بس؟

- يا فندم دي كانت المفروض تنزل في فندق ( ) ولم تظهر فيه من يوم وصولها، وفي قسم (الدقي) قالوا إن الموضوع

تبـع قسـم (مـصر الجديـدة).

- إنت قلت إيه؟ مانزلتش في الفندق؟

- أيوة.

- تبقـى مـش تبعنـا يـا أسـتاذ، مسـئوليتنا تبـدأ منـذ وصولهـا إلى الفنـدق، مـا دام ماوصلتـش الفنـدق يبقـى مالنـاش دعـوة.

- والعمل؟

- روح بقـى لشرطـة السـياحة.. شرطـة المطـار.. حـرس الحـدود.. اشـتكي في (همسـة عتـاب) المهـم تبعـد بالمصيبـة دي عننـا، يالـلا بالسـلامة.

غريـب هـذا ولكنـي لا ألومـه كثيرا في الواقـع، المهـم توجهـت إلى مختلـف قطاعـات الشرطـة ولم أصـل لحـل، فالأمـر ليـس مسـئولية أحـد.. شيء غريـب.

***

الثلاثاء (الذي كان قادما): الحادية عشرة ليلا.

فتـاة إنجليزيـة تخـرج مـن المطـار وتشـير لسـيارة أجـرة قريبـة.. السـائق لا يبـدو مريحـا عـلى الإطـلاق ولكنهـا أعـزت شـعورها إلى إرهـاق السـفر، حمقـاء.. يمكـن لإرهـاق السـفر أن يحـول لـون بشرتـه إلى الرمـادي الداكـن، ومحجـري عينيـه إلى الأحمـر، ويمكـن أيضـا أن يشـق لسـانه كلسـان الحيـة، أمـا أن ينبـت لـه ذيـل أخضر فهـذا هـو المسـتحيل بعينـه.

الخميس: (آخر الليل).

ظللـت أمـشي طـوال الليـل لا أدري لي وجهـة، كان عقـلي مرهقـا مـن التفكـير، كيـف اختطفـت ولمـاذا أفقـت مـن أفـكاري لأجـد نفـسي في مـكان غريـب تمامـا لا أعرفـه، كيـف وصلـت إلى هنـا؟ هـل سرت كل هـذه المسـافة بـدون أن أدري؟

المكان عبارة عن شارع يشبه شارع الهرم مليء بالملاهي الليلية أخذت أتأمل الأنوار وما زلت في حالة شرود، ذكرياتي مع (ماجي) تتداخل مع ما أراه في شريط سينمائي صنعه (مونتير) محترف.. زيارتي الأولى لبريطانيا.. لقائي الأول بها.. كازينو نعيمة.. قارب في وسط بحيرة (لوخ نس).. قبو في قلعة إنجليزية.. شاهد الراقصة عزيزة أستك.. اختباؤها في مصر في زيارة سابقة.. كباريه جانب النجوم مغامرتنا مع الموسى.. ماذا؟ كباريه (جانب النجوم) لا أعتقد أن هناك صاحب ملهى ليلي لديه الثقافة الكافية لمعرفة جانب النجوم.. حدثتني حاستي السادسة أن أدخل.. آه يا أمي لو تعلمين أني سأقضي الليل في ملهى ليلي، ولكن من سيخبرها.. دلفت إلى الداخل ونظرت حولي لأصاب بخيبة أمل شديدة.. فلا يوجد شيء غير عادي.. مجرد ملهى عادي مليء بالأضواء الملونة والموسيقى الصاخبة، وصور شبه عارية هنا وهناك، إلى جانب صورة فرعونية تبدو أنها لملك ما في الأسرة الكذا عشرة.. من يهتم.. أناس سكارى يتمايلون على أنغام مغني ذي صوت أشبه بصراخ الهيتغور..لأنتظر قليلا.. لا توجد منضدة واحدة خالية.. نظرت طويلا حتى وجدت رجلا وحيدا فاستأذنته للجلوس معه كان غريب الأطوار.. ذا لحية مما يسميها الشباب (سكسوكة) ويرتدي الشبشب ويدخن (الشيشة) والدخان يتصاعد من كل أنحاء المكان أخذت أتابع ما يحدث بنصف عين ونصف اهتمام.

- يبدو أنك لا تهتم بالعرض.. قالها ذلك الغريب ذو الشبشب.

- معك حق.. فأنا طبيب ولم يكن لدي أي وقت طيلة عمري لهذا العبث.

- أنا كمان طبيب..د. (توفيق إبراهيم) طبيب وكاتب رعب

وسيناريست ومؤلف وصحفي ومغامر ومتزوج وأب لبنتين.

هززت رأسي طربا لهذه المقدمة المختصرة والتي عرفتني كل شيء عن حياة الرجل فيما عدا رقم ملفه في مصلحة الضرائب.. اختلست نظرة إلى الشبشب الذي ينتعله وقلت:

- جميل هذا، ويبدو أيضا أنك عليم بهذا المكان.

قال من وسط الدخان:

إنه مكان غريب.. ظهر في هذه المنطقة فجأة منذ أسبوع، ولكنه يقدم أجود شيشة في الدنيا.. (ثم صاح بصوت عال) غيّر الحجر يا مُسعاااد.

– ولكن الـ.. ما هذا.. ظهرت هذه الراقصة الآن فقط.. راقصة غير محترفة هي.. وتبدو أجنبية.. قد تكون إحدى الروسيات إياهن وكانت تغني بلهجتها الأجنبية الركيكة:

«حاااااتّا..... تحترق..... النجووووووم.. الهوئا».

ماذا؟! «حتى تحترق النجوم».. إن هذا.. إنني.. يا للهول.. إنها (ماجي).

صرخت: أنا أعرف هذه المرأة.

قال الرجل الغريب بجواري: أنا كمان أعرف الست دي.

- إنها (ماجي).

– آه (ماجي)، تشبه ممثلة رأيتها في مسلسل (أصدقاء) الأمريكي.

- يجب أن آخذ هذه الراقصة فورا.

- أنا كمان فكرت في كده.. لكن أحسن تستنى لما تخلص نمرتها، ممكن تيجي الشقة عندي أعزمك على فراخ مشوية لحد ما هي تخلص.

- يا عم حل عني بقى بالشبشب بتاعك ده.. (ماجي)..

ماااااااااجيييييييييييي.

توجهت إليها مصمما أن آخذها معي ولكني فوجئت بثلاثة ثيران بشرية يعترضون طريقي وهتف أحدهم برقة:

- إنت رايح على فين يا بأف؟

لو أخبرته بما أنويه قد يحولني إلى ياخني بقبضة يده.

- لا أبدا يا معلم، أنا كنت رايح أنقطها.

- هات النقطة يا ظريف زمانك وأنا هاوصلها.

هنا فوجئت بذلك الـ «توفيق إبراهيم» يهتف:

- سيبوه يا شباب دا معايا.. وأشار إلى الشيشة وقال بلهجة روتينية... مسعد.. هات ولعة للشيشة.

- تؤمر يا باشا.

سألته محنقا: «من أنت؟ وهل تعرفني؟».

أجاب من وسط أنفاس الشيشة:

- أنا كمان باسأل إنت مين، بس حبيت أنقذك الأول وبعدين أعرف.

ببعض التفكير وجدت أن كلامه منطقي بعض الشيء.. معه حق.. فلا فائدة من التعرف على جثتي بعد أن يشرحني هؤلاء الثيران.

- أنا الدكتور (رفعت إسماعيل)، ويجب أن أغادر هذا المكان مع تلك الراقصة فورا.

- أنا كمان عايز أمشي واخدها معايا، بس إيه رأيك فيها؟

(يبدو أنه مصاب بنوع من اللثغة يضيف كلمة «وأنا كمان» قبل أي جملة حتى خشيت أن يقول «أنا كمان اسمي رفعت إسماعيل»).

أخذت أفكر في المعطيات الجديدة..

مكان غريب.
ظهر فجأة منذ أسبوع.
اسمه كباريه جانب النجوم.
ووجدت فيه ماجي.
وأيضا يقدم أحسن شيشة في مصر.
- يبدو أنها ليلة سوداء بحق.

***

«تشرب شاي ولا تاكل فراخ مشوية؟» سألني (توفيق) ليقدم لي واجب الضيافة، في الماضي كان الاختيار بين الشاي والقهوة والمثلجات، لا بأس أبدا بالفراخ.

«لا تفكر أبدا أن تأخذها بالقوة».. قالها (توفيق) وهو يصب الفراخ المشوية في الطبق.. إن المكان يعج بالأوغاد فضلا عن أن صاحب المكان غريب الأطوار واسمه أيضا غريب للغاية..

ألم تقرأ اللافتة؟ «كباريه جانب النجوم.. ملك المعلم لوسيفر وحرمه».

- د. لوسيفر؟!

غريب هذا.. فقد تزوج لوسيفر!. تابع توفيق:

- تخيل مرة اشتكيت له إن الشيشة مكتومة قعد يقول لي «سأغير لك الشيشة لأني بك أسعد ولك قلبي يطرب.. غير الشيشة يا مسعد».

- ولكن لماذا يختطفون (ماجي)، لماذا (ماجي) بالذات؟

- لن نعرف أبدا إلّا إذا أصبحنا منهم.

نعم.. يجب أن نصبح منهم.

***

«قليلون هم من يمكننا التضحية من أجلهم»

***

توجهت إلى إدارة الملهى مرتديا قلنسوة صوفية وكوفية بالية ونظارة شمسية في محاولة فاشلة للتنكر، لا أعتقد أنها يمكن أن تخدع عمود النور في أول الشارع، ولكن هذا هو كل ما أعرفه عن فن التنكر، قابلت أحد الثيران الثلاثة.

- على فين؟

- عايز أقابل المعلم لوسيفر.

- مش موجود.. تحب تقابل النائب بتاعه؟ الأسطى شلاطة.

- شلاطة شلاطة.. ماشي.

قادني الثور إياه إلى مكتب مليء بصور الراقصات.

- صباح الخير يا معلم.

رحب بي بشدة هاتفا:

- أهو صباح.. وانتم اللي يشوفكم يشوف خير.. عايز إيه في يومك الأغبر ده؟

- والنبي يا معلم كنت طمعان في كرمك وكرم أخلاقك وكرم ضيافتك وكرم رجولتك و...

قاطعني هاتفا:

- وكرم مطاوع وكرم جابر.. إيه يابني شغل الشحاتين ده، اخلص وهات من الآخر.

- كنت عايزك تشوف لي أي شغلانة هنا في الكباريه.

- وانت عايز تشتغل إيه بقى.. مقشة؟

ابتلعت الإهانة كأنها لم تكن وأردفت:

- لا يا معلم مش فيه رقاصة جديدة عندكو؟

- آه، ودي مالها ومال الشغل؟
- آآ.. مش كل رقاصة يلزمها.. احم.. فتوة؟
- هاهاهـا بقـى إنـت تشـتغل فتـوة، دا الفتـوات يزعلـوا قـوي منـي لـو وافقـت.
- طيب ما تسأل صاحبة الشأن.
- هـو إنـت جـاي تخطبهـا يـا فرشـة البـلاط إنـت، وعمومـا نسـألها.
وصرخ بصوت هادر:
- (ماجي).. بت يا (ماجيييييييي).
دخلت ماجي مذعورة:
- يس مألم (معلم).
- يس.. اسمها نعم يا بت.
- نأم مألم.
- بقى الواد الخرع ده عايز يبقى الفتوة بتاعك.. قلتي إيه؟
نظرت لها في لهفة فنظرت لي بعيون خاوية:
- أوكي مألم.. نو بروبليم.
نظـر لهـا مشـدوها بعـد كلماتهـا الإنجليزيـة وبـدا عليـه عـدم الفهـم.. ثـم قـال:
- يعنـي مـا رديتيـش.. عمومـا السـكوت علامـة الرضـا.. حظـك مـن السـما.. إنـت اسـمك إيـه يـاض؟
- محسوبك (رفعت اسماعيل).
- ياللا يا زفت.. روح وإنت فتوة.
- متشكر يا مألم.. آآآآ.. يا معلم.. ربنا يعمر بيتك ربنا يـ...
- خـلاص بقـى يـاض.. ورديتـك تبـدأ الليلـة.. غـور مـن وشي

بقى.

***

«قليلون هم من يمكننا التضحية من أجلهم»

***

- بسس.. ماجي.

همست بها أمام غرفتها لعلها تسمعني لكني فوجئت بها تندفع خارجة من الغرفة.

- الهقوني (الحقوني).. هيلب بليز.

هببت من مكاني.

- خير يا أسطى ماجي على سن ورمح.. فيه إيه؟

- صرصار.. بلاك.. في الأوضة.

- صرصار؟

دلفت إلى الغرفة كفارس مغوار يطارد فلول التتار وما هي إلّا لحظات وانتهى الأمر تماما ولكني وجدتها فرصة سانحة للانفراد بـ (ماجي).

- (ماجي)..ألا تعرفينني؟

- أعرفك.. إنت الفتوة بتاعي.

- أنا (رفعت) يا ماجي.. (رفعت اسماعيل).

- من (رفعت اسماعيل)؟

هنا أحسست بمن يتنصت من الخارج فهتفت في يأس:

- الفتوة بتاعك.. ياللا عشان نمرتك.

نظرت لي بعدم فهم، ثم هزت كتفيها واتجهت إلى المسرح.. وانطلقت أنا أحاول أن أكتشف شخصية الجاسوس، لكني لم ألحق به.. أخرجت قرصا من العجوة لأضعه تحت لساني،

فلـم يعـد قلبـي المسـكين يتحمـل كل هـذه الإثـارة.. ولم تعـد ميزانيتـي تتحمـل ثمـن النيتروجلسريـن.. يجـب أن أنفـرد بهـا لكـن كيـف وأيـن..لا أعـرف.

***

عـدت إلى شـقة (توفيـق إبراهيـم) غريـب الأطـوار هـذا، مـا أن رآني حتـى هتـف:

- باشا، اتفضل.. حماتك تحبك، لدي فراخ مشوية طازة.

أخـذت أتسـاءل منـذ متـى لم يكـن لديـه فـراخ مشـوية، لا بـد أن صنبـور داره هـو مصدرهـا وإلّا فهنـاك شيء غريـب حقـا.

- أشكرك على أي حال.

- بقى أنت بقيت الفتوة بتاعها.. طب ما تكلمها يا عم.

قطعـت رغيـف الخبـز الطـازج لأطلـق سراح الأبخرة المأسـورة بداخلـه منـذ خبـزه والتـي باتـت تحلـم بالخـلاص، فتصاعـدت ترقـص رقصـة الحريـة في جـو الغرفـة.

- لكن هناك مشكلة.

- خير؟

- لم تتذكـرني بعـد، أشـك أنهـا تحـت تأثـير شيء مـا أفقدهـا الذاكـرة.

ضيق عينيه وقال في ذكاء وهو يقضم فخذ الدجاجة:

- عندي حل مستوحيه من واحد صاحبي.

- الحقني به.

- قلمـين عـلى وشـها وهاتفتكـر الـلي جابـوك.. إحنـا مـش فاضيـين للدلـع ده.

أنـا أضرب (ماجـي)، يبـدو أن صديقـه هـذا أخـرق.. الحـق أن مـن يفكـر في إيـذاء مـلاك مثـل (ماجـي) لهـو أخـرق حقـا.

ماذا أفعل..

لا أدري حقا، إنني يجب أن أسـ...، كم الساعة.. إنه موعد ورديتي في الـ...، أنتم تعرفون، يجب أن أذهب الآن وإلّا ذبحني شلاطة.

- سألحق بك حالا.. ثواني بس ألبس الشبشب واجي لك على طول.

- تبا لهذا الشبشب اللعين.

***

«قليلون هم من يمكننا التضحية من أجلهم»

***

أنا في وسط الصالة بتنكري الأخرق إياه و(ماجي) مندمجة في وصلة رقص مرتدية بدلة الرقص الكحلية التي تجعلها فاتنة تحاول أن تفعل شيئا ما ولكنها فاشلة تماما في هذا، والغريب أن هؤلاء الحمقى مستمتعون تماما بهذا، بل إن أحدهم اندفع ناحيتها لتحيتها.. يجب أن يوقفه أحد.. ماذا؟ أنا من يجب أن يوقفه فأنا الفتوة هنا.. يا لها من ورطة فهو ضخم كمقطورة لوري ألمانية، عنيف كثور في حلبة مصارعة، اتجهت نحوه وقلت في لهجة تصنعت فيها الحزم:

- على فين يا خفيف؟

أزاح يدي بل وأزاحني كلّي بيده كديناصور يهش بعوضة، سقطت أرضا وقد أمسكت بتلابيبه أثناء سقوطي فاختل توازنه –ساعد على هذا أنه كان ثملا– هنا تناولت مقعدا وهشمته على رأسه أعرف أن هذا ليس أخلاقيا ولكن ليس هذا وقت الانضمام لجمعية حقوق الإنسان، بعدها صحت بأعلى صوتي في القاعة:

- كل واحد يقعد باحترامه ويعرف إن المعلم (رفعت

اســماعيل) لســه بصحتــه.

ســاد الصمــت في القاعــة للحظــات بعدهــا.. انفجــر الجميــع في الضحــك الهيســتيري.. حمقــى.. ســأربيهم ولكــن فيــما بعــد.

أنهــت (ماجــي) فقرتهــا وصعــد مونولوجســت بائس إلى خشــبة المســرح ووجــدت الجميــع يعيرونــه اهتمامــا، إذن فهــي فرصتي.

تسللت إلى غرفة (ماجي) وأغلقت الباب فوجلت:

- (عفت) ما الذي جاء بك إلى هنا؟!

- (عفــت)؟ عفــت مــين يــا روح خالتــك.. إنتــي كــمان نســيتي اســمي.. أنــا (رفعــت) يــا قطــة.

- (عفــت).. (رفعت)..(برعــي).. مــش مهــم.. إيــه الــلي جابــك هنا ؟ !

- جــاي افكّــرك.. حــاولي معايــا كــده.. أنــا (رفعــت اســماعيل).. بحــيرة لــوخ نــس.. القلعــة بتاعتــك في إنفرنسشــاير.. رونيــل الســوداء.

خلعت شبشبها في حركة تهديد منذرة بالويل وهتفت:

- إنــت الــلي ليلتــك هاتبقــى ســودا لــو مــا غورتــش مــن وشي دلوقتــي.

تبا لكل شباشب العالم.

- باقولــك ايــه.. اســتعباط مــش عايــز.. اتعــدلي كــده وافتكــري بــدل مــا أهبــدك قلمــين يخلوكــي تفتكــري تاريخــك كلــه.

قرنــت القــول بالفعــل فأنــا حقــا لم أعــد أتحمــل كل هــذا الملــل، صفعتــان فقــط.. اســتنفدت فيهــما كل طاقــة الفــراخ التــي أكلتهــا عــلى مــدار اليومــين الســابقين.. صفعتــان جعلتــاني مشرفــا عــلى الذبحــة الصدريــة، لكنهــما قــد آتتــا ثمارهمــا فقــد أفاقــت (ماجــي) كمــن اســتيقظ مــن نــوم عميــق، يبــدو أن صديــق (توفيــق) هــذا

ليس أحمقا تماما، وهتفت في حرارة:

- (رفعت)!

رقص قلبي في صدري طربا، لم أعرف من قبل أن اسمي بهذا الجمال.

- (ماجي) الحمد لله أنك بخير.

- ما الذي أتي بي إلى هنا؟ وأين هو (هنا) هذا؟

- أنت –صدقي هذا أو لا– راقصة في ملهى ليلي.

صعقت لهذا طبعا وصرخت:

- أنا.. راقصة.. كيف؟!

- يبدو أنك تعرضت لشيء جعلك تفقدين الذاكرة، وجعلك تأتين إلى هنا، شيء أصابك بعد وصولك للقاهرة وقبل وصولك للفندق، حاولي تذكر أي شيء.

- لا أذكر شيئا يا رفعت.. لقد خرجت من المطار واستقللت سيارة أجرة للفندق و... وجدت نفسي هنا.

- يجب أن أعرف لماذا تم اختطافك ولماذا أنت بالذات، خصوصا أن صاحب المكان شخص أعرفه، ولكني –والحق أقول– لا أرتاح له كثيرا.

- وإلى هذا الحين؟!

- يجب أن تتظاهري أنك مازلت فاقدة للذاكرة، وإلّا.

لم أكمل بالطبع، فالمعنى واضح.

- (رفعت).. لم لا نهرب فحسب.

- لأن هناك مخلوقا يدعى (شلاطة)، أراك فيما بعد.

- رفعت.. للأبد؟

- ماذا؟!

- ستظل تذكرني للأبد؟
- وحتى تحترق النجوم كلها، وحتى تجف الأنهار، وحتى...
قاطعني طرق على الباب.. الحمد لله، فقد استطعت للمرة الأولى في حياتي أن أقول جملة واحدة بعد احتراق النجوم.
- من بالباب؟
- آآآ.. أنا اسمي (توفيق إبراهيم)، أرجو أن تسمحي لي بالدخول يا سيدتي.
هذا الثعلب اللئيم.. تراه أتى هنا ليلهو! لا أعتقد.. إنه إنسان طيب وشهم برغم كل شيء.
أشرت لها أن تسمح له بالدخول واختبأت أنا في ركن من المكان.
دلف (توفيق) وهتف:
- آآآ.. أين د. (رفعت).
- (رفعت) من؟
- المعلم (رفعت).. الفتوة بتاعك.
- لا أدري.. أكيد بالخارج يضرب أحدهم.
- يضرب.. عود الكبريت هذا يضرب، أرجوك لدي معلومات هامة لكليكما إن كنت قد استعدت ذاكرتك.
- ثواني.
فتحت الباب للتأكد من عدم وجود فضوليين هنالك، ونادت عليّ حيث كنت ثم قالت له:
- تكلم.
- هل تسمعان عن الفرعون (با – طيخ)*الأول؟
- كلا.

---

* لا يوجد فرعون بهذا الاسم ولكنها نظرية «دعني آكل بعقلك حلاوة»– «اتفضل .. أجيب لك رغيف كمان؟».

- لقد استرعى انتباهي وجود تلك الصورة الفرعونية بكثرة في ملهى ليلي لا يفترض في رواده الثقافة التاريخية أو الوطنية، فبحثت في الشبكة العنكبوتية حتى وجدت صورة ذلك

- الفرعون وقصة غريبة عنه ظننت أنها قد تفسر بعض ما يحدث لكما.

- أكمل.. كلنا آذان صاغية.

- ظهر هذا الفرعون بعد عهد الملك (أحمس) بفترة قصيرة، وقد كان مكروها من الشعب، ففكر له كهنته في تقليد يجعل الشعب يحبه، واستثمارا للانتصار على الهكسوس، وكره الشعب لهم فقد صنعوا له تعويذة سحرية هي (قلادة الخلود)، حيث يرتدي الفرعون هذه القلادة في احتفال ديني مهيب فتهبه الخلود مدى الحياة.

- وما دخل الهكسوس في الأمر؟!

- آه.. ألم أقل لكما بعد.. لتعمل القلادة يجب أن تغمس في دماء حبيبين من الهكسوس وقد امتزجت دماؤهما معا.. حبيبان أحبا بعضهما البعض ما يزيد على عشرة أعوام وما زالا يذوبان حبا.

- يمكنه مزج دماء أي زوجين إذن؟

- يبدو أنك لم تسمع جيدا هذين المقطعين.. أقول (عشرة أعوام – ما زالا يذوبان حبا). أعتقد أن هذا –بالنسبة للأزواج– ضربا من الخيال العلمي.

- هل تقصد أن (لوسيفر) قد وجد قلادة (با – طيخ) الأول ويسعى للخلود على حسابي و(ماجي)؟

- يا لك من عبقري.. هو ما أقصد.

- لكن (ماجي) من اسكتلندا.. ولم تكن اسكتلندا هي بلد الهكسوس.

قاطعني صوت البر المحبب المنفر:

- ربما كانت ذات يوم.. من يدري.. «هل أستراليا هي أستراليا حقا».

- د. (لوسيفر)! كنت أنتظر ظهورك.

- أنا عاتب عليك يا صديقي.. حين تريد العمل في ملهاي عليك أن تقصدني مباشرة ليس ذلك الـ (شلاطة).

- ها نحن وجها لوجه.. افعل بي ما تريد فأنا ثمرة فاكهة تغضنت وقاربت على الذبول لكن إياك والتعرض لـ (ماجي) تلك الثمرة اليانعة أبدا.

- اطمئن.. لن أتعرض لكما.. فقط أريد بعضا من دمائكما.. وتنصرفان من فوركما.

- وإذا رفضنا.

- ليس هذا ترفا تستطيعانه.

قالها ونظر إلى عدد من الثيران البشرية ملأوا الغرفة في لحظة.

- كل هؤلاء ينتظرهم الخلود؟

- كلا، فالقلادة تستخدم لشخص واحد فقط، ويجب العثور على حبيبين مثلكما لكل واحد منهما، والآن، فلتشمرا عن ساعديكما فقد حان الوقت.

نظرت لـ (ماجي) في عجز فنظرت لي مبتسمة وهمست:

- حتى تحترق النجوم؟

انفجرت فيها:

- الله يحرقك ويحرق النجوم في يوم واحد، هو دا وقته؟

- رفعت..... حتى تحترق النجوم؟

لمت نفسي على عصبيتي معها.. تلك البائسة المسكينة.. زهرة بريئة في مهب العاصفة، لكن من قال إن البستاني العجوز قادر على مواجهة الريح.

- وحتى تجف الأنهار.. وحتى ينقرض الكنغر.. وحتـ...

- ماتخلصونا بقى.

قالها (لوسيفر) في ملل، ففردت ذراعي على آخره وصرخت:

- هاك ذراعي فلتفعل ما تريد وتتركنا نذهب.

انتهى من مزج دمائنا، ولم ينس أن يغطي جرح كل منا بقطن طبي معقم.. يا له من إنسان مرهف المشاعر، وضع كوكتيل الدم في إناء ثم غمس فيه القلادة، وأخرجها وارتداها تقطر دما على عباءته السوداء.. وبدا منتشيا بهذا.. كليث جلبت له زوجته غزالة للغداء بينما هو في العرين يتابع قناة ميلودي.. مخبول.. بعدها هتف:

- من المؤسف أن تموتا حقا يا (رفعت)، لكنه شاعري.. أليس كذلك.. روميو وجوليت.. (قيس وليلى).. و(رفعت وماجي).

- نموت؟! لم تقل لنا هذا.

- يموتان.. لم يذكر الموقع هذا.

قالها (توفيق) وكنت قد نسيت وجوده أساسا.

- لأنك لم تقلب الصفحة أيها الأحمق.

أجابه لوسيفر في عدم اكتراث ثم أردف:

- الوداع يا رفعت.

- لي طلب واحد.

- ما هو؟

لم أجب ولكني اندفعت ناحيته أدفعه في صدره، فوجئ بهجومي هذا فاختل توازنه، وسقط أرضا متعثرا في عباءته الطويلة وهو يرغي ويزبد في حين أسرع أحد الثيران يقطع علينا طريق الخروج.. وآخر يضربني على رأسي بشيء ما.. فسقطت أرضا شاعرا بالحنق، وحين رَفَعتُ رأسي وجدت (لوسيفر) يكبل حركة (ماجي)، كم أتمنى أن يحترق هذا الشيطان، ولكن لو احترق كل أشرار العالم لتحول العالم إلى فرن بلدي كبير.

- كانت حركة حمقاء منك يا صديقي.

قلت له في غل حقيقي:

- ما تفعله أنت أكثر حماقة بالتأكيد.

- لك أشعر بالشفقة أيها الفاني فأنا بك أسـ...

- يا عم بلاش الكلمتين اللي إنت حافظهم دول «بك أسعد» و«لك قلبي يطرب» خلاص عرفنا، فلقتنا.. دا إيه النيلة دي؟!

- اتلم يا (رفعت) في ليلتك السودا عشان تعدي على خير وتموت بهدوء أنا عليك خائف.

- اترك (ماجي) أرجوك.. اقتلني أو ضعني في الزيت المغلي أو ضعني في صينية بالفرن مع البصل المفري ولكن... لا تمسها بسوء.

- ياه.. دا صحيح الحب بهدلة يا جدعان، لكن صدقني لا فائدة، يجب أن تموتا معا.

«لاااااااااا».. قالها (توفيق) –الذي كنت قد نسيت وجوده مجددا– وهو يسدد ضربة محكمة بشبشبه إلى وجه (لوسيفر) الذي تلقى الضربة وترنح، ثم سقط مغشيا عليه –يبدو أنني مدين بالاعتذار لذلك الشبشب، أسرَعَت (ماجي) بحل القلادة من عنقه في حين صرخت أنا: هيا بنا فورا، ركضنا بكل ما أوتينا من سرعة حتى خرجنا من الغرفة ثم الملهى كله، وفي أثناء فرارنا وقعنا في دهليز طويل للغاية، صرخنا من المفاجأة والذعر، إلى أن انتهى بنا إلى شارع أعرفه تماما، ووجدت سيارتي تربض بانتظاري.

- كنا سنضيع.

- أنا آسف لكني فعلا لم أقرأ ذلك الجزء الخاص بالموت.

- أنا توقعت ذلك.

قالتها ماجي ثم أكملت:

- من الطبيعي أن يحرص الفراعنة على موت أعدائهم حيث قد انتهت استفادتهم منهما.

- صحيح، فلا يمكن استخدامهم للزينة مثلا.

- ولكن لماذا لم يمنعنا هؤلاء البلطجية؟

- يبدو أن سرقة القلادة قد شلت تفكيرهم، وقد يكونون تحت تأثير سحر ما مرتبط بالقلادة.

- الآن هيا بنا إلى بيتي لنستريح قليلا ثم تكملين رحلتك في مصر .

- لا لقد اكتفيت بهذه الإثارة حتى الآن، أود السفر فورا.

- ليكن يا ملاكي.

ونظرت إلى (توفيق) بامتنان وقلت:

- أنا مدين لك بحياتي.

ونظرت إلى (ماجي) ثم أردفت:

- وما هو أغلي من حياتي.

- لو أردت أكل فراخ مشوية، فأنا موجود.

- بالطبع يا صديقي.

***

في المطار وقَفَت دامعة العينين وهتفت ناظرة في عيني:

- حتى تحترق النجوم؟

- وحتى ينقرض الكنغر، وحتى تصل مصر لكأس العالم، وحتى تتـ...

«على السادة المسافرين إلى المملكة المتحدة التوجه فورا لصالة المغادرة».

قاطعني هذا النداء، صافحتها وأعطتني ظهرها وانصرفت، تبا لهذه الدمعة التي تحاول الفرار، لكنني أصررت على

سـجنها في ضلوعـي.

فكـرت في القـلادة التـي تحملهـا، وهـل يمكـن أن تسـبب العديـد مـن المصائـب.

الحقيقة.. نعم.

ولكن هذه قصة أخرى.

د. رفعت اسماعيل

القاهرة

مش فاكر التاريخ

***

ملحوظـة: نصحنـي البعـض أن أسـمي القصـة «أسـطورة الشبشـب» لأنـه كان أكثـر نفعـا مـن الفتـوة الـذي لم يفعـل شـيئا في الواقـع، لكننـي عاندتهـم، والآن أشـعر أن لديهـم حقـا.

صدر للكاتب

- حدث في أنتيكا.
- ضربة حب.
- اخبط راسك.
- عزبة البليلة.
- شعب تحت خط النعناع.
- دراع مرسي.
- لقمة الفاضي.
- حمار طروادة.

**يمكنكم التواصل مع الكاتب عبر صفحته الرسمية على فيسبوك (تامر أحمد Tamer Ahmad).

كيان للنشر والتوزيع

للتواصل معنا :

kayanpub@gmail.com

info@kayanpublishing.com

أو زور موقعنا:

www.kayanpublishing.com

وللاتصال الهاتفي:

هاتف أرضي: **0235688678- 0235611772**

هاتف محمول: **01001872290/ 01000405450**

وللاطلاع على كُتُبنا، ومتابعة إصداراتنا الجديدة، وأنشطتنا وأنشطة كُتَّابنا الثقافية يمكنكم متابعتنا على الروابط التالية:

Kayan.publishing

kayan_publishing

Kayanpublishing

kayanpublishing

+KayanPublishing

KayanPublishing